جدلية "المثقف والسلطان" في السرد السلطاني بين الاستبداد والاغتراب

د/ وضحا محمد عواد المحارب

رئيس قسم التعليم العام وشؤون الطلبة

وزارة التربية والتعليم – الأردن

الملخص

1

فإن البحث في تراث أي أمة هو بحث في مصادر حكمتها واستقراء في تاريخ حضارتها وبنائها. والسرد جزء من نتاجها الثقافي ووعيها التاريخي؛ لأنه حكاية الإنسان مع الحياة، وسؤاله مع الوجود. والتراث العربي لا يخرج عن هذا التأطير؛ فقد جاء السرد فيه حاملا أسئلته الخاصة التي حاول بها أن يحاكي الواقع، ويقيم تواصلا مع رغبته في الحرية والعدل، ويصوغ منظومة معرفية ترصد تطور مفاهيمه الثقافية١؛ في خطابات حملت مواقف وتصورات كشفت أبنية الوعي العربي وجدلياته مع أنظمة الواقع الثقافي والسياسي، تحت إطار منظومات أدبية متعددة منها منظومة الآداب السلطانية لقد شكّلت النصوص السردية في الأدب السلطاني مظهر وعي في المدونة الثقافية العربية، وجزءا من ظاهرة الفكر السياسي العربي الإسلامي، وجّهت خطاباتها إلى هرم السلطة بصورة امتزجت فيها الحقيقة بالوهم والواقع بالخيال والجد بالهزل، ورسمت بها منظورا للعدل والاستقرار في المجتمع. وهذا التنوع الخطابي حفّز ثمة رغبة في بحث هذه الخطابات التي جمعت شكلين من التعبير: السرد والسياسة؛ فكان لا بد من الخوض في جدليات مشروع السرد في الآداب السلطانية تحديد في تجليات علاقة شائكة مابين الاستبداد و الاغتراب أبطالها المثقف و السلطان ، وفي نصوص سردية محددة؛ تحوّل فيها النص السلطاني كله إلى حكاية رمزية عرضت تصورا دلاليا في الوعي الاجتماعي والتاريخي والسياسي. ولعل خصوصية الطرح وعمق الأسئلة التي يثيرها الموضوع جعلته فضاءً لكثير من الدراسات؛ فكانت هذه الدراسة محاولة تبحث في سردية نصوص سلطانية محددة في ضوء أدوات بحثية قدمتها السرديات والنقد الثقافي؛ بغية الوقوف على دور هذه النصوص في بلورة معرفة ما من المعارف التي أسهمت في مشروع النظرية السردية العربية.

مقدمة:

الحمد لله أحقُّ مَنْ شُكِر وأوْلى مَنْ حُمِد، وأكرم مَنْ تفضَّل وأرحم مَنْ قُصِد، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سَيدِنا مُحمَّد خَيرُ خَلقِ الله وعلى آله وصَحبِه ومن اهتدى بهداه وبعد:

أدبيات الدراسة :

اتخذت الدراسات السابقة التي قاربت منظومة الآداب السلطانية اتجاهين مختلفين لكل منهما مجال اشتغاله: اتجاه يدرس الآداب السلطانية من زاوية السياسة وتاريخها والفكر السياسي وفلسفته دون الاهتمام بالجانب السردي، ويغلب على هذا الاتجاه الطابع النظري[1]. واتجاه ثان يركز اهتمامه على الظاهرة السردية في الآداب السلطانية من خلال دراسة حيثيات العلاقة التي تربط المثقف بالسياسة، ويغلب على هذا الاتجاه الطابع التحليلي. ومن أبرز هذه الدراسات:

-دراسة بعنوان" الآداب السلطانية دراسة في بنية وثوابت الخطاب السلطاني" للدكتور عز الدين العلّام[2]، وقد انطلقت الدراسة من فرضية وجود وحدة في الفكر السياسي السلطاني قائمة على ثوابت حاول العلاّم التوصّل إليها من خلال: بحث مورفولوجية الكتابة السلطانية ، و دور المؤلف السلطاني بين الإبداع وتقنية التناص. وتوصّل إلى نتيجة مفادها أن ثوابت الخطاب السياسي السلطاني تجعل من الآداب السلطانية كتابا سلطانيا نموذجيا واحدا تجد فيه كل الكتابات السلطانية صورتها، بحيث يكرّس دولة السلطان وشخصنة الفرد؛ مما يشير إلى عجز الآداب السلطانية عن الاستمرار في ظل الحداثة وتحوّل دولة السلطان إلى مؤسسة الدولة والرعية إلى مؤسسة المواطنة.

_ دراسة بعنوان"محكيات السرد العربي مقاربة لأدبيات العلاقة بين السلطة والمثقف دراسة في البنية الحكائية لحكاية الأسد والغواص" للدكتور يوسف إسماعيل[3]. وتناولت الدراسة حكاية الأسد والغواص باعتبارها نصا سرديا شكّل ذاته عبر نسقه وتفاعله مع الكتابة القصصية على لسان الحيوان من جانب، ونصا سياسيا إشاريا قابلا للتأويل ينتمي إلى أدبيات الكتابة السياسية في الثقافة العربية. وبيّنت الدراسة مدى قدرة المؤلف على التعامل مع التفاعلات النصية الواردة فيه ضمن بناء الحكاية الإطار وتحويلها من حدث تاريخي إلى سرد

---

١ للاطلاع عليها ينظر : تشريح أصول الاستبداد قراءة في نظام الآداب السلطانية، كمال عبد اللطيف، دار الطليعة،1999، ص26 -40.

٢ الآداب السلطانية دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي ، عز الدين العلام ، عالم المعرفة ، الكويت ، ٢٠٠٦.

٣ محكيات السرد العربي مقاربة لأدبيات العلاقة بين السلطة والمثقف دراسة في البنية الحكائية لحكاية الأسد والغواص، يوسف إسماعيل، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٨ .

حكائي مزجه بعناصر تخييلية؛ فأضاف بذلك إسهاما جديدا للكتابة السردية العربية. وكشفت الدراسة عن صعوبة إقامة تحالف بين السلطة والمثقف نتيجة قوى التناحر الاجتماعية والتهديدات الخارجية؛ فكانت الرؤية السردية للعمل مليئة بخيبة الأمل.

إشكالية الدراسة : نهضت إشكالية الدراسة على افتراضات هي :

لم ينل الجانب السردي ما نالته الفلسفة السياسية والفكر السياسي من عناية الباحثين في الآداب السلطانية؛ فقد جاء التعامل معه ضمن علم تدبير الملك دون اعتبار لخصوصية هذا الجنس في الخطاب السياسي العربي الإسلامي.

دُرِست نماذج السرد في الآداب السلطانية من منظور "قصص الحيوان" في الأدب العربي، ولم تدرس في ضوء خصوصية مورفولوجية الأدب السلطاني؛ مما أفرغها من دورها الحجاجي في تشكيل معرفة سلطانية لعب المثقف السلطاني بجدلياته بين استبداد سلطانه واغترابه دورا في بناء النظرية السردية العربية.

وقد جاءت الدراسة في بحثها نماذج تراثية باستخدام منهجَي النقد الثقافي والسرديات؛ خطوة تثبت مدى مرونة السرد العربي القديم وطواعيته وتجاوبه لأدوات بحثية حديثة؛ وذلك في ظل تنامي الدراسات التي اتبعت هذه المنهجيات وتطبيقاتها على الفنون السردية الحديثة خاصة الرواية.

وترتبط بهذه الافتراضات جملة من التساؤلات ترتبط بصورة السرد في الآداب السلطانية، وما تحمله من جدليات وجماليات وهي: كيف غدا السرد معتمدا في خطاب السلطة وأدب الخاصة، وهو أسير حالة هامشية غاب فيها الجدل بين النص والنقد؟ وهل خلق استخدام المثقف السرد في خطاب السلطة جدليات معها من حيث علاقة المثقف بها، وما نتج عن هذه الجدلية من حالات الاغتراب والاستبداد ؟ وفي سياق الإجابة عن أسئلتها الخاصة ثمة أهداف تطمح هذه الدراسة إلى تحقيقها.

أهداف الدراسة : يقول ابن المقفع: " من سار إلى غير غاية توشك أن تنقطع به مطيّته"[١] ؛ لذلك فقد سعت هذه الدراسة انطلاقا من إشكالياتها إلى تحقيق جملة من الأهداف هي:

الرغبة في بعث جزء من التراث العربي المتعلق بالفكر السياسي وخطاب السلطة برؤية منهجية حديثة تكشف عن قيمة هذا التراث، وقدرته على التفاعل مع أدوات إجرائية حديثة تخضع لمقاييس النقد الثقافي

١ كليلة ودمنة، تأليف بيدبا الفيلسوف الهندي، ترجمه إلى العربية عبد الله بن المقفع المتوفى142 هـ، وزارة المعارف العمومية، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1937 .

، ص ٦٣_٦٤.

والسرديات بشكلها الشمولي؛ وذلك من خلال الاشتغال النظري والتطبيقي على نماذج سردية عربية قديمة منفتحة على السلطة باعتبارها بنية كبرى للخطاب والإبداع.

والبحث عن الخصوصية الجمالية للنص السلطاني نفسه باعتباره نتاجا تخييليا من جانب، وعملا تركيبيا يرتهن إلى خطابات تقريرية توثيقية ذات مرجعية تاريخية من جانب آخر. خصوصية تقوم على الانسجام بين السرد والحكمة في رسالة تعلي من السرد باعتباره قيمة عليا تخاطب السلطة.

ومعرفة أساليب المثقف العربي القديم في التعامل مع مكونات الفنون السردية في التعبير عن رؤيته في قضايا الواقع باستخدام التخييل، وما عاشه ومن جدليات بين استبداد السلطان واغتراب المثقف .

والسعي إلى تحديد مدى إسهام السرد في الآداب السلطانية باعتباره نوعا أدبيا في خلق معرفة سلطانية ومعرفة سردية تشكل رافدا من روافد تكوين نظرية سردية عربية.

وجاء اختيار الموضوع في جانب منه ناتجا عن إغراء التطور الكبير في الدراسات الثقافية والسردية، وما خلقته من أسئلة نقدية على المستوى الشخصي احتاجت أفقا منفتحا على علاقة الإرادة بالمعرفة، وهذا الأفق خلق تحديا وحافزا وهدفا للاشتغال.

ونظرا لخصوصية الأهداف كان لابد من حصر نماذج التطبيق لتكون الدراسة أكثر دقة وموضوعية.

مدونة الاشتغال:

إن اختيار مدونة سردية محددة من منظومة الآداب السلطانية للدراسة؛ هي محاولة لاستكشاف قيمة تتعلق بخصوصية توظيف السرد في خدمة السياسة، وقيمة هذا النوع السردي في النظرية السردية العربية، ورغبة في حصر إطار التطبيق باستخدام أدوات منهجية حديثة إلى نتائج موضوعية .

وقد تم لهذه الغاية اختيار نماذج ثلاثة تتوفر فيها شروط معينة أبرزها: أنها من النصوص التي أجمع الباحثون على انتمائها إلى الآداب السلطانية. وأن تكون بكاملها نصوصا حكائية رمزية وليست نتفا أو مقطعات. وأن تتبع تسلسلا خطيا في زمان إنتاجها بحيث لا تمثل حقبة واحدة من أجل ملاحظة مراحل تطورها. وأن يكون صاحب النص ممن عرك السياسة والكتابة لقياس مدى خصوصية فئة محددة خلقت جدلية مع السلطة، وأسهمت في تطوير أساليب الكتابة في البنية الثقافية العربية.

وتبدأ متون الاشتغال بالنموذج الأول كليلة ودمنة باعتبارها النص المؤسس لهذا النوع١؛ ونظرا لتنوع هذه المدونة وتعدد أبوابها؛ فقد كان من الأفضل بالاعتماد على عنصري الانتخاب الاقتصار في الدراسة على البابين الأول باب الأسد والثور والثاني الذي يعد من أخطر أبواب الكتاب من الناحيتين الوظيفية والإيديولوجية حسب رؤية ابن المقفع للعالم وللحياة٢، وقد اعتمدت الدراسة نسخة كليلة ودمنة طبعة دار الشروق، تحقيق عبد الوهاب عزام٣؛ لأنها طبعة علمية قابلها المحقق بأقدم النسخ الخطية التي توصل إليها، وهي مخطوطة مكتبة أيا صوفيا التي تعود إلى سنة ٦١٨هـ٤. وتمت الاستفادة من الخطاب الموازي في الطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٣٧.

النموذج الثاني النمر والثعلب. وقد وجدت له طبعتين محققتين؛ الأولى تحقيق الدكتور عبد القادر المهيري٥. والثانية تحقيق الدكتور المنجي الكعبي٦. وتمّ الأخذ بالثانية في التطبيق لاشتغالها على النص بشكل دقيق. والاستفادة من دراسة الدكتور المهيري النظرية حول النص وصاحبه.

أما النموذج الثالث الأسد والغواص حكاية رمزية من القرن الخامس، فله طبعة واحدة هي طبعة دار الطليعة، تحقيق رضوان السيد٧.

منهج الاشتغال: لعل من أكثر إجراءات البحث أهمية عند الباحث هو تحديد منهج اشتغاله وفق السياقات التنظيرية للبحث نظرا لطبيعة الموضوع، ولتعدد المناهج وكثرة أدواتها الإجرائية ٨ .

---

١ الأدب العربي القديم ونظرية الأجناس _القصص_فرج بن رمضان، دار محمد علي الحامي،تونس، ط١، ٢٠٠١، ص ١١٧.

٢ ينظر: كليلة ودمنة ، ص٣٤. التراث القصصي في الأدب العربي، محمد رجب النجار ، ذات السلاسل، الكويت ، ١٩٩٩، ص ١٢٠ .

٣ كليلة ودمنة لعبد الله بن المقفع ، تقديم وتحقيق عبد الوهاب عزام، دار الشروق بيروت ، الشركة الوطنية ، الجزائر ، ط٢ ، ١٩٨١..

٤ يذكر المحقق ميزات هذه النسخة في أنها : احتوت جملا طويلة تشبه ما يعرف من كلام ابن المقفع في كتبه .وهذه الجمل تلفى مختصرة وميسرة في النسخ الأخرى بسبب تصرّف النّسّاخ. ووردت فيها جمل يظهر فيها الأثر الفارسي؛ وقد غيّرت في النسخ الأخرى. واستعملت كلمات صحيحة غير شائعة ؛ وقد تغيّرت في النسخ الأخرى. وذكرت أسماء مدن وأشخاص لم تذكر في النسخ الأخرى. وأن نصوصها أقرب في الجمل إلى النصوص التي تلفى في كتب قديمة مثل عيون الأخبار لابن قتيبة. ينظر كلام المحقق: كليلة ودمنة ،ص ١٦_١٨ .

٥ كتاب النمر والثعلب،سهل بن هارون، حقّقه وقدّم له وترجمه إلى الفرنسية عبد القادر المهيري، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٧٣ .

٦ النمر والثعلب لسهل بن هارون ، تقديم وتحقيق منجي الكعبي، منشورات الشركة التونسية لفنون الرسم، ط١، ١٩٨٠.

٧ الأسد والغواص حكاية رمزية عربية من القرن الخامس الهجري، باعتناء رضوان السيد، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٧٨ .

٨ يرى الدكتور حميد لحمداني أن لصلاحية أي منهج لا بدّ من توفر ثلاثة مسلمات فيه هي: توفر طابع الوضوح سواء بالنسبة للفرضيات وللنتائج؛ لأن منطق إقناع المتلقي يعتمد على مدى وضوح الخطاب الموجه له. واستخدام لغة دقيقة تتجنب الخلط في المفاهيم؛ لتجعل المعرفة بالظاهرة موضوع الدراسة قابلة للتطور. وقابلية جميع التأكيدات التي تتضمنها نتائج دراسة لعملية التحقق من خلال علاقاته الداخلية والخارجية. سحر الموضوع عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، حميد لحمداني، منشورات سال، الدار البيضاء، ١٩٩٠، ص ٩_١١.

وقد فرض موضوع الاشتغال منهجا يتناسب مع حداثة المصطلح، ومع رؤية العمل التي تراعي خصوصية النصوص التراثية القديمة؛ فكان للاشتغال طريقتان في المعالجة هما:

الأولى: معاينة النصوص التراثية في رسالتها التاريخية السلطانية، واستجلاء خصائصها لمعرفة مدى قدرتها على الإسهام في تشكيل معرفة سلطانية سردية منبثقة من الأدب السلطاني، وهو موضوع سياسي ثقافي؛ فأقرب المناهج إليه هو النقد الثقافي الذي يبحث في الأنماط المضمرة مقابلا الأنماط المعلنة الواعية في موضوعات تتعلق بالممارسات الثقافية وعلاقتها بالسلطة؛ وذلك لاختبار مدى تأثير تلك العلاقات على شكل الممارسات الثقافية، والخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه[1].

الثانية: قراءة النصوص بصورتها السردية في ضوء السرديات الحديثة باعتبارها اختصاصا علميا ومشروع تفكير[2] يسعى للإحاطة بظاهرة الخطاب السلطوي السردي وبناه[3] المتلاحمة التي تسهم في فهم خصوصيته على مستوى المعرفة السلطانية السردية الخاصة بكل نموذج من نماذج السرد السلطاني، وعلى مستوى المدونة السردية العربية العامة. وتسهم هذه المنهجية في الإجابة عن أسئلة الدراسة الخاصة من خلال ما تقدمه من إمكانيات في تحليل النص[4]. فضلا عما تفتح من آفاق تساعد على الاستضاءة بأكثر من طريقة ما دامت توفر توفر قراءة مختلفة للنص وأهدافه دون إرباك في الرؤية المنهجية الأساسية للبحث. وهاتان المعالجتان تتكاملان معا من أجل إيجاد سرديات خاصة بالخطاب السلطاني.

التمهيد:

خاطب السرد السلطاني بلسان حيواناته السلطة، باعتباره عرضا إقناعيا بلاغيا تعليميا[5] أن شيئا قد حدث أو الزعم بأنه حدث[6] من خلال مواقف متعددة للطاعة والحيلة والترويض مستمدة من ثوابت خطاب السلطة[7]

---

١ النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية) عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، بيروت_ الدار البيضاء، ط٣، ٢٠٠٥ ، ص ٨٣_٨٤ .

٢ السرديات والنقد السردي ، سعيد يقطين، مجلة نزوى، عُمان، ع ٦٣، ٢٠١٠،ص٧٩.

٣ التراث والحداثة دراسات ومناقشات ، محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١، ص ٤٧ .

٤ دراسة علمية للسردية الأدبية نظرية وتطبيق ، س.ج شميدت ، ترجمة قسم الترجمة في مركز الإنماء القومي ، مجلة العرب والفكر العالمي،ع ٩ ، ١٩٩٠، ص ٧٥. السرديات كما أتصورها ، سعيد يقطين ، علامات ، ع ٢٥ ، ٢٠٠٦ ، ص ٤٢. الكلام و الخبر مقدمة للسرد العربي ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ،ط١، ١٩٩٧، ص ٢٤.

٥ الحكاية و التأويل دراسات في السرد العربي، عبد الفتاح كيليطو، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٨ ، ص ٣٦ .

٦ البلاغة القديمة ، رولان بارت ، ترجمة وتقديم عبد الكبير الشرقاوي ، نشر الفنك ، ١٩٩٤ ، ص ١٤٥.

السلطة[1] وبلاغته التواصلية، وتحيل على أفق مستقبلي تتحكم به الوظائف المختلفة التي تعقب عمليات التّمثل والتأويل متجاوزة أفق التجربة المتجه نحو الماضي[2].

وقد أدركت السلطة قيمة هذا الخطاب ووعت أن بيدها وحدها سلطة تسمية الأشياء، وهي سلطة لها خطورتها لما تلعبه من دور في تحديد الوعي بتلك الأشياء وطريقة تمثلها لدى المتلقين؛ سلطة تمكنها من تحديد سبل التعبير وأنماطه[3]؛ لذا عدّ هذا الخطاب وجها آخر من وجوه الأدب السلطاني[4]؛ لذا تشابهت موضوعاته، ولعب كاتبوه أدوارا مماثلة لأدوار الأديب السلطاني في جدليته مع السلطة؛ لذا سعت هذه الدراسة لبحث جدلية المثقف والسلطة في نماذج خاصة من السرد السلطاني هي كليلة ودمنة ، والنمر والثعلب ، والأسد والغواص.

ولعل في حداثة المصطلح ما يدعو العقل إلى التوقف طويلا أمام السرد السلطاني؛ فمصطلح المثقف مصطلح حديث لا يزيد عمره عن أكثر من قرن في اللغات الأوروبية[5]. وقد حاولت الدراسات إقحامه فضاء التراث العربي سياسيا وثقافيا، وجعلت منه موقفا وتشكيلا إنسانيا؛ فمن هو المثقف؟ وكيف ظهر في فضاء تراث السلطة وخطابها، وهل يحظى بخصوصية في السرد السلطاني ؟

١. جدلية المثقف والسلطان

جاء لفظ المثقف معجميا من مادة ثقف ثقافة صار حاذقا خفيفا فطنا وهو ثقف، وقال ابن السكيت: رجلٌ ثَقفٌ إذا كان ضابطا لما يحويه قائما به، وامرأة ثقاف: فطنة. وثقّفه تثقيفا سوّاه وقوّمه. ومن المجاز التثقيف:

---

١ للمزيد حول هذه الوظيفة التأسيسية في الفنون السردية ينظر : تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية رواية جهاد المحبين لجرجي زيدان نموذجا، إبراهيم صحراوي، دار الآفاق، الجزائر، ط١، ١٩٩٩، ص١٣٩ -١٤١ . السرد العربي القديم الأنواع والوظائف والبنيات، إبراهيم صحراوي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط١ ، ٢٠٠٨، ص ٩٥_٩٩ . بنية السرد في القصص الصوفي المكونات والوظائف والتقنيات ، ناهضة ستار، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٣ ، ص١٧٤.

٢ الوجود الزمان و السرد، بول ريكور، ترجمة وتقديم سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي ، بيروت _ الدار البيضاء ، ١٩٩٩، ص ٣١.

٣ في الائتلاف والاختلاق ثنائية السائد والمهمش في الفكر الإسلامي القديم، ناجية الوريمي بو عجيلة، المؤسسة العربية للتحديث الفكري ط١، ٢٠٠٤، ص٣٧٠ -٣٧١.

٤ الأدب السلطاني "كل نصٍّ، أيّاً كان شكله، يأخذ على عاتقه مهمة إعلام النخبة الحاكمة أو صانع القرار بما يجب أن يكون عليه، وبما يجب أن يعرفه ويفعله؛ لكي يُحسن قيادة مملكته، ولكي يضمن صَوْنَ سلطته" . الكاتب والسلطة ، عبد الله الشيخ موسى، ترجمة بشير السباعي ،دار مصر العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ١٢. الآداب السلطانية، عز الدين العلام ، عالم المعرفة ، الكويت ، ٢٠٠٦، ص٩.

٥ المثقفون في الحضارة العربية الإسلامية حفريات استكشافية ،ضمن كتاب المثقف العربي همومه وعطائه ، محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،ط٢،٢٠٠١، ص٣٧.

التأديب والتهذيب١. ويظهر من المادة المعجمية الارتباط بين الثقافة والحذق من ناحية والفطنة وتقويم الاعوجاج من ناحية أخرى، وهي بصورة ما تشير إلى وظيفية المثقف في الحياة العامة.

فقد جاء ظهور المثقف في الثقافة العربية متزامنا مع أحداث سياسية هامة شكلت علامات بارزة في تاريخ الأمة وهي موقعة صفين٢ ؛ وذلك عندما قررت جماعة من القراء تجنب النزاع بين طرفي الصراع والقيام بما من شأنه رأب الصدع باستخدام الخطب والرسائل والمواعظ٣، ثم اتسعت دائرة المفهوم متخطية مهمة إصلاح ذات البين لتشمل فئات أكثر (الفقهاء والفلاسفة وعلماء الكلام وكتاب الدواوين) اعتمدت مرجعيات ثقافية تتجاوز حدود العربية (الفارسية واليونانية) غايتها إعادة ترتيب البيت السلطاني وخدمة بناء مشروع الطاعة٤.

وأمام هذا المعنى المعجمي الفضفاض تظهر صعوبة وضع تعريف اصطلاحي خاص بالمثقف لدواع منها: أن المثقفين لا يشكلون طبقة مستقلة قائمة بذاتها، بل يتغلغلون في الطبقات المكونة للمجتمع، ويتحركون بحرية على سلم المجتمع صعوداً أو هبوطاً. لذا تعددت المعايير التي استند إليها الباحثون في تعريف المثقف، وأبرزها معيار الثقافة، ومعيار الوظيفة أو الدور٥.

وبناء عليه أصبحت دلالة المثقف تطلق على أولئك الذين يحملون آراء خاصّة بهم عن الإنسان والمجتمع، ويقفون موقف الاحتجاج والتنديد إزاء ما يتعرض له الأفراد والجماعات من ظلم وعسف سواء من السلطة نفسها أيّا كانت سياسية أم دينية٦ أو من الأفراد الخارجين عليها. فالمثقف بناء على ذلك مصلح سياسي واجتماعي يسعى على تعليم السلطة كافة الأشكال التي تحفظ ديمومتها، وتحقق بها العدل، ويسعى إلى إعادة تنظيم القاعدة الاجتماعية لكي تنجح في تحقيق تعايش سلمي مع السلطة، ولكنه لدى السلطة مثير

---

١ لسان العرب ابن منظور، دار صادر ، د.ت، ج٩ ، ص١٩ -٢٠ مادة "ثقف".

٢ للمزيد ينظر: وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، تحقيق عبد السلام هارون ،دار الجيل ،بيروت ،ط١،١٩٩٠. تاريخ الطبري أو تاريخ الأمم والملوك، الطبري، تحقيق إياد بن عبد اللطيف القيسي، دار ابن حزم ،بيروت ،ط١،٢٠٠٥،مج١،ص١٤١١ -١٥٠٥ .

٣ المثقفون في الحضارة العربية، محمد عابد الجابري ، مصدر سابق،ص٣٩ .

٤ الجماعة والمجتمع والدولة سلطة الإيديولوجيا في المجال السياسي العربي ، رضوان السيد، دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٩٩٧،ص١٤٤.

٥ شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، محمد رياض وتار، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، ١٩٩٩، ص ١٠ .

٦ المثقفون في الحضارة العربية ، محمد عابد الجابري، مصدر سابق، ١٩_٥٨ .

للعراقيل والفتن، وخيالي طوباوي١. ونظرا لكثرة الفئات المرشحة للانضواء تحت مظلة المثقف؛ وعليه فالمثقف كل من أسهم بطريقة ما في تراث الفكر العربي الإسلامي

باعتباره جزءا منه، ومن النخب المكونة له، واضطلع بمهمة التعليم والتغيير والإصلاح ٢.

وبهذه الدلالة تتعامل الدراسة مع المثقف السلطاني باعتباره صاحب مشروع إصلاحي غايته تعليم العامة أصول الطاعة وتعليم الخاصة أصول العدل. ولكن بطريقة جديدة فيها تغيير في طريقة الخطاب تجمع بين المتعة والفائدة، وتمزج بين التنظير والتطبيق ضمن حكايات سردية توجهها إلى أعلى الهرم الاجتماعي حيث النخبة، وإلى قاعدة الهرم حيث العامة ميدان التعليم والترويض. وربما في هذا الرأي أميل إلى تغليب الجانب السياسي على السردي، وإخضاع الأدب للسياسة، ربما تحت تأثير الظروف العامة لمجريات الحياة السلطانية التي تتسرب دواخلنا دون وعي .

وهكذا أصبح وجود المثقف في كيان الثقافة السلطانية واقعا جديدا حمل الكثير من التبعات التي تتعلق بالمجتمع والسلطان، وأسهم في الحفاظ عليهما معا عبر تنفيذ أطروحة الطاعة؛ بينما فشل في الحفاظ على استقلاليته وظل محكوما لسلطة الدولة٣.

---

١ المثقفون في الحضارة العربية ، محمد عابد الجابري، مصدر سابق ، ص ١٩_٥٨ .

٢ المفكر والسلطة ، الحبيب الجنحاني، ضمن كتاب الإنتلجنسيا العربية،الدار العربية للكتاب،تونس،١٩٨٧،ص ١٩٥. وينظر تهميش المثقف العربي وبناء النخبة القيادية، برهان غليون، ضمن كتاب المثقف العربي همومه وعطاؤه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،١٩٨٥،ص٨٥. إشكالية العلاقة بين المثقفين والسلطة، محمود أمين العالم، مجلة الفكر العربي،ع٥٣، السنة التاسعة ، ١٩٨٨،ص١١ - ١٩. مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، الشاهد البوشيخي، دار القلم، الكويت، ط٢، ١٩٩٥ ،ص ١٥٠ .

٣ كاتب السلطان حرفة الفقهاء والمثقفين، خالد زيادة، رياض الريس للكتب والنشر، لندن ، ط١ ، ١٩٩١ ، ص ١١. السلطة السياسية والسلطة الثقافية ، علي أومليل، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،ط١،١٩٩٦ ،ص٧٥.

ويمكن أن نوجز عمل المثقف السلطاني وعلاقته البراغماتية بالسلطة في السرد السلطاني بهذه الخطاطة

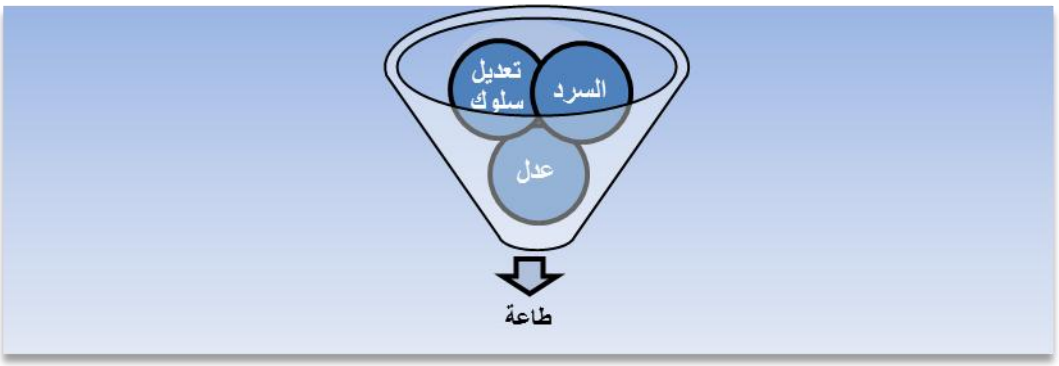

شكل رقم (١) مخرجات العلاقة بين المثقف والسلطان

ونقرأ في هذه الخطاطة أدوارا تواصلية بين طرفي المشروع السلطاني بين إرسال واستقبال في اتجاهين متقابلين: فالسلطان يطلب المعرفة بسؤاله اضرب لي مثلا أو كيف ذلك. والمثقف يجيب والمعرفة المقدّمة هي موضوع الإرسال ووسيلة التعليم بحيث يصبح الغرض (المثل –المعرفة) الذي تحققه الذات يفضي إلى الاستفادة الظاهرة أوالمباشرة؛ لأن السلطة حددت نوعه حتى لا تدع مجالا لحدوث اختراقات في أطروحتها؛ لعلمها أن موضوع الأطروحة هو عمل كلامي؛ وهي مهمة عقلية أكثر منها ممارسة عملية يجيدها المثقف بكل يسر وسهولة، فلما حددت الشكل الفني له جعلته يجمع بين اللهو والسياسة[١]؛ فأرادت بذلك وضع عراقيل أمامه وهو ما فهمه المثقف ووعاه؛ لذا جعل عمله خطيرا ودقيقا في الوقت نفسه فخلط الوسائل بالغايات ونقل طلب المعرفة من دعوة للحصول على الإمتاع والانتفاع السطحيين باعتبارهما تكرار لمقولة السلطان إلى مستويات أعلى فيها إثارة للعقل وحفز للهمة والفهم؛ فترتب على هذا الخلط تحوّل السلطان من مالك للمعرفة ومحتكر لها إلى ولاهث وراء تأويل الرموز وباحث عن الحكمة المحجوبة[٢]؛ فانقلب الجهد بعد أن كان المثقف أمام نوعية المعرفة المطلوبة باحثا عن المثل المناسب للطرح والمفضي إلى ما يسعى إليه، وجامعا بين طرفي معرفة سطحها طلب السلطان وباطنها ما يريد المثقف غرسه في ذاكرة العامة لتخرج بسلام أطروحة

١ كليلة ودمنة ، الطبعة الأميرية ، القاهرة، ١٩٣٧ ، ص ٣٦_٣٧ .

٢ الحكاية والتأويل ، عبد الفتاح كيليطو، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٨، ص ٤٢.

التطويع، لكنها فاقت التوقعات عند التطبيق لاشتراك فئات فيها غاية في الخطورة هم الفلاسفة الذين سكت عنهم ابن المقفع عندما حدد فئات التلقي للسرد السلطاني١ .

وتعكس الفئات التي شملها مفهوم المثقف تعدّدية في الأنظمة المعرفية التي تشكّل منها خطاب المثقف مما نتج عنه تنوعا وتنافسية في خلق أنماط ثقافية جديدة تجمع بين السياسة والفن؛ لذلك تعدّ إشكالية العلاقة بين طرفي المعادلة الحكمة والسلطان أوالمثقف والسلطان من أبرز الإشكاليات التي تطرحها المتون السلطانية لما يتولد عنها من جدليات صغرى أبرزها:

"جدلية العمل مع السلطان" تعدّ الأكثر تداولا في المصنفات السلطانية بين مؤيد ومعارض : يرى المؤيدون أن العمل مع السلطان واجب ديني يقوم على النصيحة والإصلاح مع كل ما يحمل من مخاطر وتبعات؛ مبدأهم في ذلك أن"نصح الإمام ولزوم طاعته فرض واجب، وأمر لازم، ولا يتم إيمان إلا به، ولا يثبت إسلام إلا عليه"٢. وتمثل نماذج السرد السلطاني هذا الاتجاه، ويحمل مثقفوها ذات القناعة؛ وتبدو المفارقة جلية في هذه الجزئية؛ ففي الوقت الذي يدركون فيه هذا الواجب فإنهم يسعون إلى تحقيق أهداف خفية تمثل طروحات فكرية خاصة بهم؛ فطموح دمنة فردي "إما مع الملوك مكرما، وإما مع النَساك متبتلا"٣. وهو ذاته عند مكابر "ومن لم يركب الأهوال على صعوبتها لم ينل الرغائب"٤، بينما سعى الغواص إلى الحفاظ على وحدة المجتمع من منظوره الفقهي٥.

وفي هذا الواجب عاش المثقف السلطاني في تناقض بين الرغبة والخوف لما يدركه من خطورة مصاحبة السلطان، نقرأ هذا في عتاب لسان الدين بن الخطيب نفسه"في كل آونة وساعة، وأثناء كل تفرد وخلوة، أخاطب نفسي، فأقول لها: يا مشؤومة، أما تشعرين بما نزل بك، حملت هذا الكل على ضعفك، وأوسعت هذا الشغب في فكرك(...)"٦.وذات الحرقة عاشها رمز المثقف في السرد السلطاني؛ فقد تسربت إلى نفس الغواص

---

١ في دلالية القصص وشعرية السرد ، سامي سويدان، ، دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٩١ ،ص ٣٢١ -٣٢.

٢ العقد الفريد، ابن عبد ربه ، تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة وعبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، ١٩٨٣،ج١، ص١١.

٣ ينظر : طرافة الحوار حول مسألة العمل مع السلطان " كليلة ودمنة ،ص٨٤ -٨٨.

٤ النمر والثعلب ، ص ٢٣.

٥ ينظر باب ما يجب على الرعية من نصيحة الملك ، الأسد والغواص، ص ٤٤ -٥٩.

٦ أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام أو تاريخ إسبانية الإسلامية، ابن الخطيب، تحقيق أ.ليفي بروفنسال ، دار المكشوف، بيروت ،ط٢ ،١٩٥٦ ص ٣١٥ .

الذي عاش لحظات طويلة مؤلمة مع نفسه عند سجنه وبعد اعتزاله١، ووضعها كليلة أمام ناظري دمنة في عتابه إياه بعد سجنه إثر اكتشاف جريمة الاغتيال التي تسبب بها٢. ولعل هذا التناقض أكثر ما يستحق عليها المثقف تأنيبا برؤية ادوارد سعيد: "لا شيء في نظري يستحق التوبيخ أكثر من تلك الطباع الذهنية للمثقف التي تغري بتجنب المخاطر، أي الابتعاد عن موقف صعب ومبدئي تدرك أنه صحيح لكنك تقرر ألا تتخذه"٣.

ولتجاوز جزئية الصراع الذهني والنفسي للعمل مع السلطان؛ فقد شغل منظرو النماذج أنفسهم برسم طريق النجاة، وهو مركب يجمع بين صحبة السلطان وضرورة النصيحة من باب الطاعة من جهة وبين جملة سلوكات عملية تمثل مسلمات تناقلها مثقفو السرد السلطاني؛يذكرها سهل بن هارون على لسان ثعلبه مرزوق"قد قيل :لا يواظب أحد على باب السلطان ويطرح الأنفة، ويحمل الأذى، ويظهر البشر، ويكظم الغيظ، ويرفق في أمره خلص إلى حاجته"٤ .

بينما يرى المعارضون أن العمل مع السلطان مذموم لاسيما الفقهاء منهم؛ لأنه يفقدهم هيبتهم واستقلالهم لمراعاتهم مصالح السلطان والاحتيال لها، ويصطدم بمصالح تتطلبها العامة؛ وعدّ ابن خلدون الفقهاء أبعد الناس عن السياسة٥. لكن المفارقة أنهم أقدموا على محض النصيحة للسلطان باعتبارها واجبا واجبا وحقا تمليه الشريعة. والغريب في موقفهم أنهم اعتمدوا تبريرات منظري الأدب السلطاني مع إجراء تعديلات لممارسة تلك "النصيحة" تجاه رجل السلطة انطلاقا من حكم الشرع.

جدلية "تربية المربي"٦، وهي أكثر القضايا حساسية باعتبار المثقف السلطاني مربيا وسيلته الكتابة التي التي تعد"أشرف مراتب الدنيا بعد الخلافة"٧؛ فسلطة القلم مقاربة من سلطة السيف إذ لم تفقها خطورة

---

١ ينظر لحظات هذا الجانب عند الغواص: الأسد والغواص، ص١٤٤_ ١٤٦ .

٢ ينظر مبررات التناقض عند كليلة ، كليلة ودمنة ، ص ٨٤_ ٨٨ .

٣ نقلا عن سلطة المثقف بين الاقتراب والاغتراب قراءة في سيرة لسان الدين بن الخطيب وتجربته السياسية، منشورات وزارة الثقافة ، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠٠٦ ، ص٦٣.

٤ كليلة ودمنة ، ص ٨٧. النمر والثعلب، ص ٢٢. الأسد والغواص، ص٤٩ -٥٠.

٥ تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمان، ٢٠٠٤، ص ٢٩٤ -٢٩٥. ينظر :مسألة في العمل مع السلطان ،الشريف المرتضى،نشر وتقديم ولفريد مادولونغ ، ترجمة رضوان السيد ،مجلة الفكر العربي، ع٢٣،السنة الثامنة ،١٩٨١،ص٢٠٨ -٢١٤ . رسائل الجاحظ "الرسالة السادسة في مدح التجار وذم عمل السلطان ، الجاحظ ، دار النهضة الحديثة، بيروت ،١٩٧٢ ،ص١٤١ -١٤٥.

٦ العنف الرمزي بحث في أصول علم الاجتماع التربوي، بييربورديو،ترجمة نظير جاهل ،المركز الثقافي العربي ،بيروت،١٩٩٤،ص٤٥.

٧ العقد الفريد، ابن عبد ربه ، تحقيق عبد المجيد الترحيني، مصدر سابق،ج٤ ، ٢٦٢.

وتأثيرا كونها عنصر وعي وخطاب١؛ لذلك حاول السلطان إقامة هدنة وعلاقات مع هذه الفئة تقوم على الاجتذاب والاستئناس مخالفة بذلك سياستها مع العوام التي تقوم على الإكراه عبر القوة تأسيسا للخضوع الأعمى لتجردهم من العقل والمعرفة. فإذا حدث خرق لهذه الهدنة؛ فإن المربي يكون عرضة للاصطلاء بنار السياسة بشكل يفوق تربية العوام فكريا وماديا٢.

وقد ظهرت هذه الإشكالية في نماذج السرد السلطاني بين السلطان ومثقفه، واتخذت آلية التفكير بالصور٣، وهي آلية تعتمد على رسم الملامح وتأطير المشاهد في مقاربتها لعلاقة المثقف بالسلطان وبالرعية، ومن أبرز الصور: صورة المثقف فقد كان من الرعية، ويمتلك قدرات معرفية وعقلية، ويحترف مهنة فكرية في الغالب، وعنده رغبة في تنمية الإنسان والنهوض به سلطة وأفرادا؛ لذا احتلّ تراتبية وسطى بين الخاصة والعامة مما أكسبه امتيازا استغله في استقطاب جمهور شكّل قاعدة اجتماعية أثّر عليها بفكره٤؛ وكان بذلك أمام مسؤولية خطرة ومزدوجة في الوقت ذاته، هي مسؤولية التغيير لأنه تغيير بمنظارين: سلطوي حيث تم تأهيل المثقف لترسيخ دلالات معينة تمثل مرجعية السلطة؛ بعد أن تمثّل نموذجها التعسفي، وأعاد إنتاجه بطريقة مختلفة تحمل مسؤولية التغيير٥. وآخر إنساني يسعى إلى إعادة التأهيل للسلطان وللإنسان

---

١ المثقفون والسلطة ، ميشال فوكو، ترجمة سعيد علوش، مجلة الزمان المغربي ،ع٨، ١٩٨١،ص١٦.

٢ الكاتب والسلطة ، عبد الله الشيخ موسى، ترجمة بشير السباعي، دار مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩، ص٣٢. وللمعرفة كثير من محن المثقفين ينظر: كتاب المحن، لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت ٣٣٣هـ) تحقيق يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، ط٣ ،٢٠٠٦ .

٣ تشريح أصول الاستبداد قراءة في نظام الآداب السلطانية، كمال عبد اللطيف ، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٩ ، ص ١٢٧.

٤ في الأدب العباسي الرؤية والفن، عز الدين إسماعيل، دار النهضة العربية ،بيروت ،١٩٧٥،ص ٨٩ -٩٢ .

٥ حملت المتون كلها هدف التغيير سواء أكان فرديا خاصا كهدف دمنة "يسرُ الصديق و يسوء العدو" كليلة ودمنة ص٨٤ ،ففشل في تحقيقه ،بينما جاء هدف مرزوق ثعلب سهل متوازنا يجمع الهدف الخاص مع العام "وليس لمثلي قوة على صيد الظباء وبقر الوحش، وإنما يصيد كل امرئ قدره ،وليس هاهنا ؟إلا طلب الحيلة". فالحياة في مجتمع ينعم به الجميع كان هدفه، ومجموعة الذئاب أدواته في تنفيذه، وكان قمة الهرم النمر صاحب السلطة الوحيدة القادرة على تحقيق الهدف. النمر والثعلب، ص١٦٦. وجاء التغيير يحمل هما جماعيا عند غواص المجهول"يجب على الرعية أن يجهدوا أنفسهم في صلاح الملك ومعونته(...) كما يجب على الملك أن يبذل لرعيته ما يصلح حالهم (...)فان صلاح الملك صلاح مملكته ورعيته (...)وفي صلاح مملكته صلاح الجملة (...)ومن ادخر عن الملك نصيحة (...)فقد خان نفسه". الأسد والغواص ص٤٤ -٤٥. فيما رأى جورج طرابيشي أن النظام السياسي القائم قد استغل المثقفين لإضفاء الشرعية على نفسه وتبرير وجوده أمام المجتمع وحمايته من المعارضة ولم يكن لهم أدوار أو أهداف للتغيير ينظر: المثقفون العرب والتراث ، جورج طرابيشي ، رياض الريس للكتب والنشر ،ط١ ،١٩٩١،ص٢٢٦. في حين رأى بعضهم أن هذا التعالق بين المثقف والسلطان يسعى إلى التغيير لكنه تغيير محفوف بالمخاطر، يبدو بوجهين تغيير مع السلطان وهو تغيير معلن لما يتوفر عليه السلطان من ضرورات التفوق والزعامة التي قد لاتتوفر فيهم . وتغيير مبطن يسعى فيه المثقف إلى السلطان عن طريق الجماعة التي يتولى السلطان قيادتها ، لذلك كانت فعلا مخاطرة تركت تأثيراتها على البنية المعرفية والإدارية، وسببت اضطرابا في تنفيذ محاولاتهم لخلق تبدلات اجتماعية وسياسية، لذا فشلت مساعي التغيير لأن عين السلطان لم تكن

للتعايش السلمي، وإن كان "تغييرا جزئيا على نظام ثابت"١، لكنه تغيير لصالح المجموع، تغيير لتحقيق السعادة للجميع وغيرها من مبررات أصحاب المشاريع ليجعلوها على درجة عالية من الخطورة تستحق ما سيبذلونه من تضحيات في ركب السلطة٢. فكيف صوّر المثقفون تضحيتهم؟؟.

صوّر المثقفون أنفسهم أصحاب رسالة تستحق المخاطرة والتضحية لخطورة مصاحبة السلطان وعالمه المليء بالاضطراب والعنف٣؛ فلجأوا إلى معان مستقاة من الطبيعة تحمل مظاهر القوة والعنف واتخذوها رموزا لعلاقتهم بالسلطان فشبهوا السلطان" كالسيل بالليل لا تدري كيف يأتيك، ولا كيف تتقيه"٤ أو"بالجبل الوعر(...)فالارتقاء إليه شديد والمقام فيه أشد وأهول"٥ أو"كالأسد يهابه من يراه وهو لمركبه أهيب"٦. وهذه الصور الرمزية بكل ما تحمل من خطورة الاغترار بمظاهر النفوذ والمكانة التي قد يجنيها المثقف بقربه من السلطان؛ فإنها ترصد ما يمكن أن تجرّ عليه من تبعات "وقد قالت العلماء في أمور ثلاثة لا يجترئ عليها إلا أهوج، ولا يسلم منها إلا قليل: صحبة السلطان، وائتمان النساء على الأسرار وشرب السم على

مغمضة ينظر: رسائل الجاحظ ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٩٦٥،ج٢، ص١٩٥. السلطان آراء جديدة في الفلسفة والاجتماع ، برتراند راسل ، تعريب خيري حماد ، منشورات دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، ط١ ، ١٩٦٢ ،ص ١٩.

١ نظرية التأويل والخطاب وفائض المعنى ، بول ريكور، ترجمة سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء بيروت ،ط٢،٢٠٠٦،ص٢٨.

٢ فيما تجمع معظم الدراسات على أن الدور الأكبر والأخطر للمثقف السلطاني هو تعزيز الاستبداد وتلميعه لتنفيذ رغبات الحاكم وبالرغم من جزئية السلطة التي يقتطعها فهو بمثابة خادم كما يقول الجاحظ(رسالة مدح التجارة وذم أخلاق الكتاب رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون، مصدر سابق، ص١٩٠.

٣ من صور المثقف في الدراسات الحديثة :المثقف المراوغ والترزي والاجتراري والمقاول والانتحاري والتقليدي والبرجوازي والمتمرد والعضوي. المثقف العربي سعيا وراء الرزق والجاه من كتاب المثقف العربي همومه وعطاؤه، محمود عبد الفضيل، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،ط٢،٢٠٠١،ص١٢٥ -١٢٩ . ينظر: صورة المثقف في القصة القصيرة الجزائرية المكتوبة بالعربية ، مؤلف جماعي، جامعة الجزائر، للعام ٢٠٠٧_٢٠٠٨ ، ص٧ -١٦.

٤ النمر والثعلب، ص ٣٨.

٥ كليلة ودمنة ، ص ٨٧.

٦ الأدب الكبير، ابن المقفع، تحقيق أحمد زكي باشا ، مطبعة جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩١٢، ص ٢١. الأسد والغواص ، ص ٥٨.

التجربة"١؛ ومع ذلك كانوا أقل الناس التزاما بالمحاذير وأكثرهم علما بمواضع خطرها٢. ومما يعمق هذه الجدلية أن مشروع النصيحة نفسه لن يتحقق إلا عبر هذا الصراع الدموي٣.

فكانت جدلية المثقفين مع السلطة بذلك "فتنة دائمة"٤ تغريهم بركوب الخطر كراكب الأسد يهابه من يراه وهو لمركبه أهيب؛ لعل أكثر ما يؤرق هذا الراكب أن لا تدوم فترة الركوب؛ لذلك أعملوا العقل للوصول إلى كيفية ما تخلق توازنا ثابتا يبقيهم في منطقة الأمان قبل أن يشعر الأسد بثقل راكبيه؛ لأن أي انزياح خارج هذه المنطقة فيه خطر.

من هنا تدخل الجدلية بعدا جديدا يمنح عملهم قيمة إضافية من حيث خطورته بعرضهم مظاهر قوة السلطة وانفرادها بحيث لا يمكن للفرد سوى الرضوخ لها، وإلا سحقته متوهمة أن خلاصها يكون بذلك٥؛ لذا لذا صوروا السلطان على درجة كبيرة من التميز والفرادة هادفين إلى أمرين: أولا درء أي تساوٍ له مع الغير، وتأكيد تراتبيته السلطانية من خلال مبدأ المماثلة لإضفاء صبغة مقدسة عليه، فأصبح الوصول له يحتاج إلى مواصفات خاصة؛ ولكن المفارقة أنهم جعلوا من الصدفة سبيلا لاقتحام عالم السلطان!! فهل كانت صدفة أم جزءا من استراتيجية عامة خط أصولها بيدبا. فدمنة لم يحس صدفة بتغير حال الأسد. فسأل كليلة:"ما شأن الملك مقيما في مكانه لا يتحول ولا ينشط كما كان يفعل؟"٦. ولم تخرج الصدفة الغواص الغواص من عزلته بعد أن أحس بتغيّره"مقارن فكر يخفيه ومضمر شيءٍ لا يبديه٧. والحقيقة أن المثقف بادر وخرج عن صمته وراقب وتخيّر الظرف المناسب؛ لكنه خشي التصريح بذلك فدّعى أنها الصدفة . ومن جانب

١ كليلة ودمنة ص٨٧. ونقل سهل هذا الموضع النمر والثعلب ص٢٢.

٢ الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام قراءة في نشأة علم الأصول ومقاصد الشريعة، الدكتور عبد المجيد الصغير، دار المنتخب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤، ص ١٠٦ -١٠٧.

٣ النمط النبوي _ الخليفي في القيادة السياسية العربية والديمقراطية،الدكتور بشير محمد الخضرا، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٥، ص ١٦٦ .

٤ الفكر الأصولي، عبد المجيد الصغير ، مصدر سابق ، ص ١١٠.

٥ الكاتب في حضرة الخليفة، رفقة رويدة، مجلة الفكر العربي، ع١،١٩٨٠، ص١٠٥.

٦ كليلة ودمنة ، ص ٨٤ .

٧ الأسد والغواص ،ص٤٤ .

آخر فإن صور الصدفة لم تأت اعتباطا بل هي مؤشر على المماثلة الضاربة في جذور اللاوعي؛ لأنها انعكاس للقدر الذي ربط السلطان بالإله؛ فوجود المثقف في حياة السلطان كان قدرا لا يمكن تجاوزه كما الطاعة١.

وكانت أشد وسائلهم مراوغة في صحبة السلطان عندما ربطوا بين العقل والقوة، وجعلوا من أنفسهم مصدر العقل والرأي، ومن نصائحهم مصدرا لديمومة السلطان وبقاء سلطته؛ وهذا التصور يحيل على نتيجة عملية خطرة وإشكالية صعبة يبدو فيها السلطان يد باطشة وقوة صماء فحسب٢.

ثانيا الإقرار بالسلطان باعتباره أمرا واقعا وحتميا وضرورة لا نقاش فيها؛ سواء أكان التعامل مع فردانية السلطان كما تعامل بيدبا وابن المقفع، أوالتعامل معه باعتباره مؤسسة كما فعل سهل بن هارون والمجهول؛ وعليه جاءت مشروعات الطاعة عندهم بصيغة جمعية من مشروع متواضع يمثل إمارة الاستيلاء عند سهل إلى مشروع ضخم على مستوى الصيغة العامة للسلطان يمثل إعادة لنظام الخلافة في مرحلتها البكر "الفترة النبوية والخليفية" عند الغواص؛ هذا التفاوت في نظرة الإقرار لا يغير من مقصديته وغايته في النماذج الثلاثة؛ فالإقرار بحتمية السلطان ووجوده انبثق من فكرة حماية الأمة من الفتن والاضطراب والتمزق .

من هنا اجتهد المثقف السلطاني في رسم صورة داخلية وخارجية للسلطان الرمز؛ فقد جاء بنكلة(أسد بيدبا وابن المقفع) والمظفر بن منصور(نمر سهل بن هارون) وأسد (الغواص) على درجة من القوة والتكبر والانفراد والحيلة والسعادة. صورة بدت في بعض جوانبها مخيفة؛ فهو مخلوق متفرد يختلف بنية وطبيعة عن الرعية بخلاف المخيلة الشعبية٣، وتتوفر فيه مؤهلات الحكم بمباركة إلهية تستوجب الطاعة، فكان شخصية تميل إلى الانفراد، وتجيد الإصغاء لا تتحدث كثيرا؛ فقوة كلامه يستمدها من ندرته، لكنه يملك سلطة

---

١ رؤية توفيق بكار للصدفة في قصة الرجل الهارب من الذئب الباب الأول "باب الأسد والثور ، في مقاله"المنهج الإنشائي في تحليل القصص تودروف، توفيق بكار، مجلة الحياة الثقافية ، تونس ،ع٤٧ ، ١٩٨٨ ، ص ٩.

٢ لعل هذا مارآه بعض الباحثين في خضم علاقة المثقف بالسلطان مبررين ما حدث مع المؤسس"ابن المقفع " فقد اتخذوا رسالة الصحابة سببا في تفسير غضب المنصور عليه والإيعاز بقتله؛ على اعتبار أنها "برنامج ثورة " عند طه حسين " أو تقرير في نقد نظام الحكم "عند أحمد أمين، أو دراسة استراتيجية قدمت مشروعا إصلاحيا سبق أن جعل من كليلة تمهيدا له وإطارا عمليا لأفكاره ، وهو مشروع يقوم على توحيد الإدارة وعقلنتها بحيث لا تسير على هدى الخليفة بل على هدى الرعية . ينظر على الترتيب: حديث الشعر والنثر، طه حسن، دار المعارف، القاهرة ، ط١١ ، ١٩٧٥ ، ص٤٦ -٤٧. ضحى الإسلام ، أحمد أمين ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١٠ ، ١٩٦٩، ج١، ص ٢٠٥ . الفكر الأصولي وإشكالية السلطة في الإسلام ، عبد المجيد الصغير، مصدر سابق ، ١٣٣ -١٣٤ . المجموعة الكاملة ، ابن المقفع ، دار التوفيق للطباعة والنشر ،بيروت ،١٩٧٨ ،ص١٩٠.

٣ تصور الحكاية الشعبية للملوك ، سامي عبد الوهاب ، مجلة أدب ونقد ، ع١٢٩ ، ١٩٩٧ ، ص ١٠٧ -١٠٨.

على كلام غيره، ويفوّض حقه لمن شاء من حاشيته؛ لذا نشأت نماذج السرد بطلبه، وهدف الخطاب فيها ما يريده هو، لأنه يدرك مقاصده؛ فالكلام في حضرته قلق دائم لأن "أسباب الموت والحياة معلقة بطرف لسانه"١؛ لذا آثر المثقف السلطاني السكوت طلبا للسلامة "الزم السكوت؛ فإن فيه سلامة وتجنب الكلام الفارغ؛ فإن عاقبته الندامة"٢،لا يطلب الشورى وإذا قدمت لا تأتي من العامة وإنما من الخاصة ولها رجالها٣، لا يسعى إلى النصيحة لكنه يريدها إرثا تاريخيا لتخليد اسمه عبر الزمن؛ فهذا حال دبشليم أسوة بأجداده٤.

وهذه المؤهلات لا تتوفر في المثقف مجتمعة، ومن ثم فليس من نواميس المنطق البراغماتي أن يتبادل الطرفان مكانيهما٥. فالمثقف لا يطمح إلى الصف الأول؛ لأنه لا يصلح له وإنما يسعى إلى حاذي الخيوط، إلى المركز الثاني في تراتبية السلطان؛ وليتمكن من الحصول على سند قانوني بمشروعية تصوراته عمد إلى توليد متون تعتمد سلطة رمزية؛ ولكي تعمل هذه السلطة لابد من الاعتراف بمن يمثلها؛من هنا جاءت العلاقة بين يمارس السلطة ومن يرسمها٦و لكن بوجود شريك ثالث (الحاشية).

تعدّ الخاصة أو حاشية السلطان من أخطر الرموز المكمّلة لجدلية المثقف في علاقته بالسلطان؛ إذ تسودها درجة عالية من التنافسية خاصة ضد المثقف وبرامجه؛ لأنها تدرك خطورته وتخشى زوالها بوجوده؛ لذلك شعر المثقف أنه بدخوله هذه الفئة قد غادر زمن الحرية إلى زمن الاختبار؛ فعليه اليقظة والحيلة؛ وإلا فهو أمام خيارين لا ثالث لهما :الموت بسعاية الخاصة أو الحياة بحيلة الكلام٧ .

وفي حدود هذه الثنائيات يجد المثقف نفسه أمام خيارات تفرضها العلاقة ذاتها بالسلطة ومنها: إما أن يبقي المثقف على صلته بالسلطة عاملا معها، وخاضعا بشكل وظيفي لخدمتها، ويحاول في ذات الوقت أن ينسحب إلى مجتمع فرعي مكون من أمثاله من المثقفين فيجد الراحة والتعاطف والحرية الفكرية، وهو ما

---

١ النمر والثعلب، ص ٣٢.

٢ كليلة ودمنة، الطبعة الأميرية ،١٩٣٧ ص٢٥.

٣ السلطة الثقافية والسلطة السياسية ، علي أومليل ، مصدر سابق، ص٦٥.

٤ كليلة ودمنة، الطبعة الأميرية ، ١٩٣٧ ، ص ٣٥.

٥ المثقفون والممارسة السياسية جدلية الاستبعاد والاستقطاب، حماد صابر، مجلة المستقبل العربي ،ع٢٥٩، السنة ٢٣،٢٠٠٠، ص٢٢.

٦ الرمز والسلطة، بيير بورديو، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي ،دار بوتقال ، الدار البيضاء ،ط١،١٩٨٦ ،ص٥٦، ص٦٦.

٧ الكاتب في حضرة الخليفة ، رفقة رويدة، مصدر سابق، ص١٠٣ . تعد حياة ابن المقفع هي صورة حية لهذه التنافسية فقد حرمه الوزير أبو أيوب المورياني الاتصال المباشر بديوان المنصور خوفا على مكانته. الوزراء والكتّاب ، الجهشياري، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة، ط١، ١٩٣٨، ص ١٠٩ . ينظر : خطورة صورة الخاصة كما يراها ابن المقفع في كتاب الأدب الكبير ، تحقيق أحمد زكي باشا ، مطبعة جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩١٢، ص ٣٨ -٣٩.

يمكنني قراءته في رسالة عبد الحميد الكاتب إلى أمثاله من الكتّاب، ورسالة الصحابة لابن المقفع. ولكن هذا المجتمع الفرعي لا يفي بكل احتياجات المثقف، ولا يغني عن المجتمع الأكبر ؛ عندئذ يعيش حالة ما يسمى الاغتراب السلمي داخل نفسه ومع السلطان[1]. وإما أن يكون العكس فلا يستطيع عقد هدنة مع نفسه بل تتولد في داخله فضاءات من القسوة والعنف؛ فيمارس عنفا رمزيا على نفسه وعلى المجتمع، وحتى هذا العنف فإنه مقيد ومحدد بمساحة التفويض التي منحتها له أصلا السلطة المرجعية[2]؛ وذلك بأن تقوم السلطة بفصل معارفه عن السياسة كي ينتج ثقافة مجردة غير محددة المعالم، ثقافة تتعامل مع المجتمع بطريقة لاذعة دون أن تنتج له معرفة تقارع السلطة. وإما أن يصبح مثقفا ايجابيا في منظور السلطة أو ما يعرف بـ"تقني المعرفة" ؛ فيؤثر سلامته بالاستسلام الفكري لغير ما يؤمن به مغتالا عقله؛ وهذا أفضل لدى السلطة لأن الثقافة التقنية المفرغة من المضامين الإيديولوجية تمدّ السلطة بالوسائل الإجرائية من أجل استمرار هيمنتها[3] دون إثارة قلق لها، وتحقيق أطروحة الطاعة.

وقد يتفرع من هذا النوع عينة من المثقفين تتخذ مركبا صعبا تكون فيه مع السلطة وفي ذات الوقت تعمل لصالح همها الجمعي من خلال استثمار دورها في الوسط الذي تخلق فيه أوامر السلطان[4]، هذا النوع لا لا يعنيه السلطان نفسه؛ لأنه أمر واقع وإنما يعنيه تحقيق أهداف لصالحه ولصالح المجموع؛ لذا كان خطابه مبطنا بوجهين: أحدهما خفي يدعو إلى التغيير ورسم مشاركة ديمقراطية في الحكم. والآخر معلن يدعو إلى الطاعة، ويروج للسيطرة والاستغلال وهو ما تستفيد منه السلطة بصفتها سلطة رمزية تملك سلطة الكلام[5]. الكلام[5]. ويشكّل هذا الخيار رأس مال متجدد سواء للسلطة أو للمثقف نفسه عبر منظومة رمزية تحتمل أكثر من تأويل سواء لصالح أطروحة السلطة أو لحملة التغيير التي يقودها المثقف. وهذا يمثل نوعية المثقف في نماذج السرد السلطاني .

---

١ صورة العامة في الخطاب السلطوي، محمد حلمي عبد الوهاب، مجلة أدب ونقد، ع ٢٧٤، ٢٠٠٨، ص ١٥ . الاغتراب النفسي للمثقف العربي، جان الكساب ، مجلة المعرفة ، سوريا،ع ٥١٥ ، ٢٠٠٦،ص١٧٧ -١٨٨.

٢ العنف الرمزي بحث في أصول علم الاجتماع التربوي، بييربورديو، مصدر سابق،ص٣٨.

٣ الاغتراب النفسي للمثقف العربي، جان الكساب ، مصدر سابق، ص ١٨٥.

٤ ينظر دور هذا الوسط في المتون في قضية تقديم الحلول لمشاكل السلطة وتأمل كيف استغل المثقف مداخل نفسية وظروف استثنائية للسلطان للسلطان لتكييف حلول معينة ،وإن أجد السلطة قد أتقنت هذا الدور وأعجبتها الحلول لنجاعة نتائجها.

٥ صور المثقف في القصة القصيرة الجزائرية المكتوبة بالعربية ، مؤلف جماعي، مصدر سابق،ص١٥١ -١٥٢.

ويكشف هذا الخيار عن حالة انشطار ضمني وعلني في شخصية المثقف تجاه السلطة بين ما يريده مثقفها، وبين ما يمليه عليه موقعه من السلطان؛ فهو يعيش في خوف ويكتب في خوف؛ لعلمه أن المؤسسة السياسية والدينية ستحاسبانه على نتاجه فكرا وموضوعا ولغة في قربه وبعده عن الخطاب السلطوي؛ باعتبارهما حليفين استراتيجيين على مؤسسة الخيال لجعلها تتحرك حركة واحدة وباتجاه واحد١؛ لذلك نجد ابن المقفع في ضوء هذا الصراع الداخلي قد نصح من أراد الانخراط في سلك المثقفين أن لا يغامر ما لم يكن مستعدا للتحلي بسلوك خاص يدفع هذا القلق والخوف٢؛ بل هو نفسه ومعلمه بيدبا قد طبقا هذا السلوك الخاص عبر ازدواجية نمطين من المثقفين هما كليلة ودمنة بما فيهما من تباعد، وهو ما فعله سهل بن هارون عبر ثعلبه مرزوق٣، فيما لم يستطعه المجهول صاحب حكاية الأسد والغواص؛ فتخلى عن منح عمله الشرعية بالانتساب إليه وآثر الاختفاء.

وتشكّل حالة الانشطار جزءا من ازدواجية السلطان نفسه الذي"إذا جاء وقت الموعظة بكى، وإذا جاء وقت السياسة طغى"٤، بل حجم القلق والخوف عنده أضعاف ما يحمل المثقف بحكم كونه مركز التأثير الذي يجب أن تخضع لطاعته كافة المعطيات. وهذا الخضوع يتأرجح أمام صورة المثقف السلطاني وحديثه عن نفسه وقدراته؛ نقرأ هذا في حالة القلق والندم التي عاشها الأسد عقب إسناد المهمة الأولى لدمنة باعتباره من المثقفين وأفراد خاصته الذين" ليس السلطان حقيقا بالاسترسال إليهم، والطمأنينة إلى ما قبلهم والائتمان لهم. وإن دمنة داهٍ أريب(...)لعل ذلك يدعوه إلى أن يخونني ويبغي علي"٥، لأنه يدرك ما لديه فـ"إن السلطان لا يقرّب الرجال لقرب آبائهم، ولا يباعدهم لبعدهم؛ ولكنه ينظر إلى ما عندهم وما يحتاج فيه إليهم"٦؛ مما يعكس اضطرابا في قضايا الثقة والاطمئنان بين الطرفين. وتخلق هذه الصورة وغيرها في نفس

---

١ العرب والسياسة يوميات على جسر العبور، عبد السلام المسدي، مؤسسات بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس ، ٢٠٠١ ، ص ٤٨ . السرد العربي القديم والأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، ضياء الكعبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط١، ٢٠٠٥، ص٣٢٨.

٢ العقل السياسي محدداته وتجلياته، الجابري ، المركز الثقافي العربي، بيروت –الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩١ ،ص٣٤٥ . للمزيد : أزمة المثقف العربي المحنة الدائمة دراسة في نشأة المثقف العربي وسوسيولوجيته ، عبد القادر عرابي ، مجلة المستقبل العربي ، ع١٩٥ -١٩٦ ،السنة ١٨، ١٩٩٥، ص٢٨.

٣ ينظر رموز الوعي السياسي في كليلة ودمنة من كتاب مضمون الأسطورة في الفكر العربي، خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت، ط٣، ١٩٨٦ ، ص١١٧ -١٥٠.

٤ وعاظ السلاطين، علي الوردي، دار كوفان، لندن، ط٢، ١٩٩٥، ص ١٨، ص٣٨ . ينظر : المؤرخ والسلطان جانب من علاقة المثقف بالسلطة في التجربة المغربية ، إبراهيم أحراب، العلم الثقافي، السبت ٢١، نونبر، ١٩٩٨، ص١١.

٥ كليلة ودمنة ، ص ٩٢ -٩٣ .

٦ كليلة ودمنة ، ص ٩٠.

السلطان الحذر من المثقفين على اختلاف أصنافهم؛ خشية من دور المثقف المضاد الذي يتقن لعبة السرد، ويستطيع تحويله إلى سلاح تحريضي لا هوادة فيه؛ تشهد بذلك النجاحات التي حققها على المستوى الداخلي للسرد، حيث سيطر المثقف الثعلب على السلطان الأسد ووجهه الوجهة التي يبتغيها١. فيما تختفي من النماذج صورة المثقف المعارض المعلن وما يكلفه هذا الموقف من تبعات:تهميش وتنكيل واعتقال ونفي وقتل. وصورة المثقف الانهزامي الذي يقتل روحه الوثابة للإصلاح بالانكفاء على البحث والعلم المجرد من أي التزام اجتماعي أو سياسي، ضمن تعددية لا تخرج عن كونها اغتيالات للعقل والإرادة٢ .

ويمكننا القول تأسيسا على ما سبق إن صورة المثقف السلطاني في النماذج هي صورة مركبة تعتمد على امتزاج نمطين في شخصية واحدة ملامح المثقف التقني المعرفي والمثقف المضاد الخفي. وهو مثقف يفصل بين الثقافة والسياسة بشكل وهمي، يتقن ارتداء الأقنعة، يسعى إلى تحالف مع السلطة لدعمها والتبرير لاستبدادها واستمرارها متجاوزا معايير الكفاءة والقدرة٣، ربما أسهم بطريقة غير مباشرة في تلاشي جماليات حلم العدل والطمأنينة التي حلم بها المجتمع بتبريره صورة السلطة وخدمتها في كافة الظروف. فهذا ثعلب سهل دار حيث دار الزمان؛ فبعد أن ظل إلى جانب الذئب مستظلا بقوته، ومستفيدا من خيراته حتى إذا ما قتل لم يجد حرجا من وضع نفسه وخبراته في خدمة السلطة الأقوى٤؛ ولعل الشيء نفسه يتكرر مع مثقفين الآخرين، فبعد نجاته أول مرة من سيوف السفاح وقتل صديقه عبد الحميد إبان سقوط دولة بني أمية بقي ابن المقفع كاتبا لأعمام السفاح بل لم يتوان عن تقديم خدماته من ترجمات ومؤلفات للمنصور خليفة السفاح٥، وربما الأمر ذاته مع المجهول والسلاجقة الداعمين للمذهب السني بعد البويهيين الذين نشروا التشيع فكر المعتزلة لأكثر من قرن٦.

---

١ المثقف والسلطان والحكاية قراءات في مفاعيل السرد في ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة، جبور الدويهي، مجلة الاجتهاد، ع ٤١ ، ١٩٨٩، ص ٦٢.

٢ تهميش المثقفين ومسالة النخبة القيادية، من كتاب المثقف العربي همومه وعطاؤه، برهان غليون ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ،ط٢،٢٠٠١،ص١٠٣ . اغتيال العقل محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية ، برهان غليون ، دار التنوير ، بيروت،١٩٨٥،ص١٠٧.

٣ وظيفة الثقافة في فكر الاستسلام ، فيصل دراج ، مجلة الوحدة ،الرباط ،ع٣٥ -٣٦ ،السنة الثالثة ،أيلول ١٩٨٧ ،ص٢٩ .

٤ سهل بن هارون وكتاب النمر والثعلب فصول مترجمة ومؤلفة، إبراهيم عوض، المنار للطباعة والكمبيوتر، ٢٠٠٦ ،ص٦٣

٥ الوحدات السردية في حكايات كليلة ودمنة دراسة بنيوية، إ دريس محمد، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ٢٠١٠ ،ص ٣٩. كليلة ودمنة ومقتل عبد الله بن المقفع ، محمد وريث، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع ،ليبيا ، ط١، ١٩٨٧، ص١٣.

٦ الأسد والغواص ، مقدمة رضوان السيد ، ص١٤ -١٦.

أما الجديد في شخصية المثقف السلطاني فهو امتلاكه لهدف يسعى إلى تحقيقه بصرف النظر عن دوافعه الحقيقة سواء أكان تقديم صورة عن مجد التجربة الساسانية في الحكم من خلال اختياراتها المعرفية المتمثلة في مسيرة كليلة ودمنة (ابن المقفع) أو عرض مصير ظاهرة أمراء الاستيلاء[1] ممثلة تجربة البرامكة (سهل بن هارون) أو إعادة إحياء العصر الذهبي للدولة النبوية والخليفية في عهدها الأول(المجهول)؛ فلا غرابة أن يكون رمز هذا المثقف موحدا في نماذج الدراسة وهو ابن آوى (الثعلب) فيعكس ما ترسخ في الذاكرة الثقافية عنه من المكر والدهاء والحيلة[2]؛ وبرز على شكل أزمة ثقة وفقدان للشعور بالأمان بين من يحتكر السلطة ومن يحتكر المعرفة؛ ترتب عليه فشل السرد السلطاني في تحقيق التماثل المتكافئ بين السلطان والمثقف.

وهنا نتوقف عند نهاية العلاقة بين المثقف والسلطان كما صورتها النماذج :أما بيدبا حكيم الهند وصاحب كليلة ودمنة فقد حظي بتقدير سلطانه وتخليد اسمه وجعل حكمته درة خزائنه العلمية، وامتد هذا التقدير والتخليد إلى نقلة كليلة كما فعل أنو شروان مع الطبيب بروزيه الذي خصّه بباب ألحقه بالكتاب فأدام ذكره وخلّد بطولته؛ فيما نال ابن المقفع تخليدا من نوع أخر أبقى اسمه خالدا بخلود كليلة ودمنة وذلك بقتلة مؤلمة وهولا يزال في ريعان شبابه على يد والي البصرة سفيان بن معاوية بإيعاز من المنصور وفقا للمصادر التاريخية والأدبية[3].

وجاء تعامل الخليفة الرشيد أقل دموية مع سهل بن هارون صاحب النمر والثعلب؛ فقد عفا عنه وبطش بوزرائه من البرامكة الذين كان سهل كاتبا لديهم إثر استبدادهم بالحكم دونه؛ ولعل في العفو عنه إدراك حاجة الدولة لكتبة محترفين من أمثال سهل للعمل في دواوينها ثم أمينا لبيت الحكمة ودار العلم في عهد ابنه المأمون .

---

١ إمارة الاستيلاء هي إمارة تعقد على اضطرار يستولي فيها الأمير على بلاد يقلده الخليفة إمارتها ويفوض إليها تدبيرها وسياستها . الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، الماوردي ،حققه وخرج أحاديثه وضبط نصه وعلق عليه عصام فارس الحرستاني –محمد إبراهيم الزغلي ،المكتب الإسلامي ، بيروت –دمشق –عمان ،ط١ ،١٩٩٦،ص ٥٦ –٥٨ . قوانين الوزارة وسياسة الملك ، الماوردي ، مصدر سابق ،ص٢٩

٢ ينظر حياة الحيوان الكبرى، الدميري ، مصدر سابق ،ص٩١ . الحيوان ، الجاحظ ،مصدر سابق، ج٢، ص٥٤.

٣ سير أعلام، الذهبي ، أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط ، حقق هذا الجزء حسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، ١٩٩٦، ج٦، ص ٢٠٩. : الوزراء والكتّاب، الجهشياري ،مصدر سابق، ص ١٠٤ –١٠٨. مسرور السيّاف وإخوانه،جمال بدوي،مصدر سابق، ص١٦. غير أن أحد الباحثين يرى أن ابن المقفع انتحر بالسم أو خنق نفسه واستند في هذا الرأي إلى كتاب (المقالات والفرق) سعد بن عبد الله أبوخلف الأشعري المتوفى ٣٠١هـ الذي عثر عليه في مكتبة للمخطوطات في طهران ، وهذا الرأي بخلاف الشائع المتداول في كتب التاريخ والتراجم . ينظر: ابن المقفع أديب العقل، فكتور الكك، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦، ص ١٢.

أما تجربة المجهول مع حكام الدولة السلجوقية فقد انتهت بمؤشر يدل على استحالة إحياء تجربة الخلافة ؛ لذلك اعتزل الغواص الحكم وانقطع للعباد ة زاهدا بالسياسة والدنيا.

وهكذا كانت علاقة من يملك المعرفة ومن يملك السلطة علاقة متداخلة معقدة، تحمل في جوهرها صراع قوى انتهى في الواقع لصالح سلطة القوة وقوة السلطة وتحولت قوة المعرفة إلى عامل تنقية وتلميع وتشذيب لهذه القوة لتحصل في النهاية على عملية تركيع وترويض هادئة !!

ويحضر هنا السؤال هل قرأنا تراث مثقفينا بما يليق بانجازات هؤلاء أم اكتفينا بعرض كبواتهم؟ المثقف بين الإدانة والإنصاف فوهة بركان من جلد الذات ومزالق التاريخ. لعل فيما عرضنا من صور قدر من التّجني بحق المثقف إذ لا يعقل أن يكون همَّ هؤلاء المثقفين الذين يمثلون شريحة من مفكري الأمة التأصيل والتبرير للقتل والاستبداد للسلطة؛ وهم يدركون أنه يدمرها ويعجز عن خلقها١، بل يدمرهم هم أنفسهم؛ فغالبا ما دفعوا ثمن عقولهم غاليا قتلا جسديا وفكريا، والأخطر طعنا بعقيدتهم، وهي تهمة واهية فندتها الدراسات٢؛ وأثبتت براءة مثقفي السرد السلطاني الذين عاشوا في حضرة سلاطين كانت محاربة الزندقة جزءا مهما من برامجهم السياسية. فيما لا يخرج التفسير لحقيقة ما حدث عن كونه دليلا على انعدام وجود علاقة تواصلية سليمة بين المثقف والسلطان لأن عمل المثقف في السرد والأدب السلطانيين لا يمثل نظرية سلطانية جامعة بقدر ما يقدم تقنيات جزئية للسلوك السياسي٣؛ مما أوجد تخبطا في علاقة الطرفين تُرجم برفض فكر الأخر، وفقدان الثقة بمصداقيته؛ لذا سادت لغة البطش والقتل والخوف؛ وانتهت النماذج بحلول حرمت الأمة حرية الفكر المضاد مقابل سياسة الفكر الواحد.

ويبدو من الغبن أن يتحمل المثقف وحده مسؤولية كل هذا الفشل؛ إذ لا يعقل أن يقدم ابن المقفع لسلطانه السلاح الذي سيقتله به، ولا يسعى سهل للخيانة بالتحالف مع المتمردين، ولا أن يكون صاحب الغواص الفقيه مجرما ينسف كل قواعد الزهد. ولا يعقل أنه يسعى إلى تدمير سلطة السلطان بجعله قاتلا مستبدا ثم ينقلب السحر على الساحرِ! ما أعنيه أنهم لا يقدمون صورا للانتحار، ولا للخيانة ولا لتمزيق

---

١ السلطة والعنف، عز الدين الخطابي، مجلة وليلي دفاتر المدرسة العليا للأساتذة ،مكناس ،ع١٤ ،٢٠٠٩،ص٧٣.

٢ تراثنا كيف نعرفه، حسين مروة ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣ ، ص ١٣٥. ينظر حول براءة مثقفي السرد السلطاني من تهمة الزندقة : ابن المقفع بين حضارتين، حسين جمعة ، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، ط١ ، ٢٠٠٣ ص١٣٥ -١٨٩. سهل بن هارون وكتاب النمر والثعلب ، إبراهيم عوض، مصدر سابق ، ص٢٦ -٥٦ .

٣ التراث بين السلطان والقرآن، عزيز العظمة، مصدر سابق، ص.٤١

وحدة الأمة والأرض بل فهما جديدا يتناسب مع مخزونهم الثقافي الجديد؛ لكنه اصطدم بالبنية الثابتة للعلاقات الأساسية في الفكر والتاريخ العربي بين أطراف الثنائيات"السياسية والثقافية "وبين الأنا والآخر والفرد والمتعدد حيث يتحول النفي السلبي إلى ايجابي والهدم إلى بناء والتنافر إلى تناغم، وهو ما يتطلب وعيا جديدا لم تستوعبه السلطة[1]، أو ربما لا تريد ذلك .

٢ . جدلية المثقف والاستبداد

"العاقل لا يرحم من يخافه"[2]؛ حكمة رددها المثقف وطبقها السلطان بمنأى عن حضور العقل؛ فكانت النتيجة جدلية الحكمة والاستبداد. ويأتي الاستبدادُ لغةً من بدد: فرَق وانفرد وابتعد، واستبد بالأمر أي انفرد به دون غيره[3]. أما اصطلاحيا فهو غرور المرء وانفراده برأيه والأنفة عن قبول النصيحة. وقد عرّفه الكواكبي"تَصَرُّف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئة وبلا خوف تبعة"[4]، والأصل فيه مشتق من depotesكلمة يونانية بمعنى رب الأسرة، أو سيد المنزل، أو السيد على عبيده، ثم خرجت إلى المجال السياسي ليوصف بها نمط من الحكم المطلق تكون فيه سلطة الملك على رعاياه بمثابة سلطة الأب على أبنائه في الأسرة أو السيد على عبيده[5]، ثم صار استخدامه دالا على كل مظاهر الترويض في أي ممارسة سلطوية تسعى للحيلولة دون التمرد باعتباره متأصلا في البشر فـ"في داخل كل إنسان يوجد حيوان مغلف بجسد إنساني يتحرك واثبا إلى الخارج في كل لحظة يجد فيها باعثا شهوانيا له، ولا سبيل لكبح هذا الحيوان المتمرد إلا بترويضه بالمعرفة والثقافة"[6].

وهذا يعني أن ثمة بنية علائقية بين طرفين (السلطة)والأخر (الإنسان والفكر) لا يعترف بها الاستبداد مادام ينتجه الطرف الأول ثم يقمعه[7]. وفي هذه العلائقية يحضر مصطلح الترويض باعتباره وحدة وحدة معجمية استخدمها الاستبداد في الأدوار التي يقوم بها. فقد أستعير هذا المصطلح من حقل التعامل مع

---

١ جدلية الخفاء والتجلي دراسات بنيوية في الشعر، كمال أبو ديب ، دار العلم للملايين ،بيروت ،ط١، ١٩٧٩ ،ص١٥.

٢ كليلة ودمنة ،ص ١٣٠. ينظر النمر والثعلب، ص١٣٦.

٣ لسان العرب ، ابن منظور ،ج٣، ص ٧٨ -٨٢ مادة "بدد" . تاج العروس، الزبيدي، اعتنى به عبد المنعم خليل وكريم سيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧ ، ج٤ ، ص ٢٢٩ -٢٣٣ مادة "بدد".

٤ طبائع الاستبداد، الكواكبي، تقديم ودراسة أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت، ط٣، ٢٠٠٦، ص٣٧.

٥ الطاغية: دراسة فلسفية لصورة الاستبداد السياسي، إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، الكويت ،١٩٩٤، ص٥٢ -٥٧.

٦ الخطيئة والتكفير، عبد الله الغذامي، مصدر سابق، ص ٢٢١.

٧ الإنسان المهدور دراسة تحليلية نفسية اجتماعية ، مصطفى حجازي، مصد سابق، ص ٧٥ . المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو، جيل دولوز،ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت –الدار البيضاء ،ط١ ،١٩٨٧،ص ٣٥.

الحيوان وتشكيل سلوكه الغريزي، ليؤدي مهام محددة عبر مراحل من التدريب تستخدم خلالها عمليات التعزيز والحرمان ، ثم دخل حقل السياسة على المستوى النظري حين تعمد السلطة إلى تشكيل سلوك الفرد بحيث يخضع لتوقعات السلطة وأهدافها مع وجود فرق في جوهر الترويض نفسه؛ ففي حين يسعى ترويض الحيوان إلى امتلاك سلوكه الخارجي والتحكم به لأداء وظائف محددة؛ فإن سياسة الترويض للسلوك الإنساني تتجاوز السلوك الحركي الخارجي إلى إدراك تشكيل عقلي أي امتلاك الإنسان من الداخل على مستوى الوعي١ .

تقرّ الآداب السلطانية بوجود الاستبداد باعتباره من ضرورات الحكم فـ"سياسة الملك والسلطان تقتضي أن يكون السائس وازعا بالقهر وإلا لم تستقم سياسته"٢، وبه يتحقق العدل في ظل تجربة سياسية جديدة٣؛ ولكي لا يحدث تناقض بين هدف السرد السلطاني ورسالته القائمة على مشروع النصيحة وبين الاستبداد؛ فقد سعت إلى تبريره وعدم قبوله ذاته مجردا من أي دور وظائفي؛ بل على العكس فمشروع الوسط الذهبي أو الطاعة ينظر إلى الترويض باعتباره مشروع مجتمع وحماية، غايته الحرص على وحدة المجتمع وبقاء السلطان. فكانت هذه الغاية وراء مخاطرة دمنة بنفسه"لا يهابنّ الملك أمره، ولا يكبرن في صدره شيئا منه، وأنا آتيه به حتى يكون له عبدا سامعا مطيعا"٤، وهي غاية الغواص"فأخشى أن تكون الفرصة التي لي اليوم غصة لي غدا؛ فيكون الذي أرجو المنفعة به لنفسي ولجميع أهل المملكة من جملة أبواب المضرة؛ فإن مضيع الفرصة في وقتها حقيق بالندامة"٥.

وفي عُرْف السلطة طاعة الرعية لا تكون إلا"عن فرق أو حاجة؛ فإذا استغنى عاد إلى أصله وجوهره"٦؛ لذا جُعِل الاستبداد مقياسا لترويضها ضمن مسارين هما: استبداد معلن وآخر مخفي. أما المعلن فهو الاستبداد المادي، وهو ترويض عنيف يعتمد القتل والسجن والتنكيل، ويحقق نتائج سريعة لكنها غير دائمة، ويتخذ غطاء دينيا باسم الأمة للحرص على وحدتها، ويكتسب باعتباره استراتيجية قبولا اجتماعيا يضفي صفة

---

١ الإنسان المهدور دراسة تحليلية نفسية اجتماعية ، مصطفى حجازي ، مصدر سابق ، ص ٨٨.

٢ تاريخ ابن خلدون ، ابن خلدون ،مصدر سابق، ص ٧٩.

٣ مرايا الأمراء في الحكمة السياسية والأخلاق في الفكر الإسلامي الوسيط مع تحقيق كتاب قابوس نامه(النصيحة)، محمد أحمد دمج ، مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع ،دار المنال ،بيروت،ط١ ،١٩٩٤،ص٤٢ . ملامح النثر العباسي، عمر الدقاق، دار الشرق العربي،بيروت، د.ت ، ص٩٢،ص١٠٥.

٤ كليلة ودمنة ، ص ٩١، ص ٩٣.

٥ الأسد والغواص، ص٥٢.

٦ كليلة ودمنة، ص١٠٦.

قدسية تضمن له بقاء سلطته كونه خليفة الله في الأرض مع أن الدين بريء منها١. ونلمح ذلك في صورة السلطان عند الغواص من خلال رفضه الاستبداد العنفي المتمثل بالقتل بحد ذاته، ثم قبوله له لأنه يحقق هدفا مجتمعيا يحمي كينونة الوحدة المجتمعية؛ وربما هذا مؤشر على أن السلطان في جوهره لا عنفي؛ ولكن بقاء السلطة يتطلب ذلك٢. ونجده في أوراق دمنة الضاغطة على السلطان عند رفضه قتل شنزبة"فإن كنت لا تخاف شنزبه وقد وثقت به(...).فاشفق من جندك، فإنه قد ألبهم وحملهم على عداوتك"٣. وهو حل لم يصل إليه نمر سهل بن هارون إلا بعد أن استنفذ جميع الحلول السلميّة وبقي العنف الخيار الأخير. يقول الراوي:"علم أنه قد أجمع على الخلاف عليه، والمحاربة له. فجمع وزراءه ؛كانوا ثلاثة، فاستشارهم في أمره"٤ .

.

ويندرج تحت هذا النمط أنواع من الاستبداد منها : استبداد رمزي يمارس ضد(الخلافة) وما زرعته في الوعي الاجتماعي من مسائل تتمثل بحق الأمة في اختيار السلطة وحق تقويمها، وضرورة البيعة وقبولها للسلطة؛ لأنها تنقض وتبطل مبدأ التوريث التي تقوم عليه سياسة السلطان بصورتها الجديدة . فقد كان الخليفة المنصور"يسوس سياسة الملوك، ويثب وثوب الأسد، ولا يبالي أن يحرس ملكه بهلاك غيره"٥. وعليه جاءت ردة فعل الرشيد العنيفة لما أحس بخطر نفوذ البرامكة، وشعر بالتغيير بعد رؤية شاهدها في منامه٦. وعليه نفسر رغبة السلاجقة بالانفصال عن مركز الخلافة.

ويندرج تحته كذلك ما يسمى استبداد العين (الجاسوس) وهو مبدأ للحكم يضمن به السلطان سيطرته على كل شيء حتى على مستوى الهمس؛ ويبدو ذلك في مخطط ابن المقفع لسياسة التجسس التي رسمها في رسالة الصحابة"والأمر الأخر أن لا يتحرك متحرك في أمر من أمور العامة إلا وعين ناصحة ترمقه، ولا يهمس هامس إلا وأذن شفيقة على السلطة تصيخ نحوه"٧. ويتم هذا ببسط العيون والجواسيس في كل

---

١ طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، الكواكبي، مصدر سابق، ص ٥٢.

٢ الأسد والغواص، ص ٧٥ -١٠٣.

٣ كليلة ودمنة ، ص ١٠٨.

٤ النمر والثعلب، ص ٣٥.

٥ الإشراف والتنبيه، المسعودي، عني بتصحيحه ومراجعته عبد الله إسماعيل الصاوي، المكتبة العصرية بغداد، دار الصاوي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٣٨، ص٢٩٦. للمزيد عن استبداد المنصور ينظر : البيان والتبيين، الجاحظ، مصدر سابق ،ج٣ ،ص٣٦٧ -٣٧٠.

٦ ينظر رواية سهل بن هارون عن ذلك : العقد الفريد ، ابن عبد ربه ،مصدر سابق، ج ٥ ، ص ٣١٧_ ٣١٩ .

٧ رسالة الصحابة ، ابن المقفع ، مصدر سابق، ص ١٣٠.

مكان حتى غدا الخوف والجزع حائلا دون أي تجمع أو لقاء من أي نوع في جزيرة النمر المظفر بن منصور"وإني لأكلمك وما آمنه فرقا أن يخرج فيرانا"١، بل أمتد ذلك إلى أماكن أشد ما تكون فيها عين السلطان وسيطرته مثل المحاكم والسجون؛ وساعد هذا في كشف كثير من المؤامرات: مؤامرة أعداء الغواص، وجريمة دمنة وتسببه في قتل الثور شنزبة وتغريره بالسلطة.

أما المسار الثاني فهو الاستبداد العادل أو الناعم، نوع يأتي باسم العدل يبسط شبكة دقيقة ومعقدة القوانين، لا تحطم إرادة الإنسان بل تستنزفها وترهقها، لا يهدم ولا يبطش، ولا يجبر على عمل أي شيء يريده، ولكنه يقف حائلا في المقابل دون تحقيق ما يريده الآخرون بحيث يجعلهم مستجيبين له دونما إرادة تماما مثل القطيع في استجابتهم لزعيمه بشكل آلي ينم عن الخضوع التام٢.

ويتخذ هذا النوع آليات الترغيب والتعزيز أسلوبا؛ مما يعطي نتائج أكثر فعالية وتأثيرا، ويتمثل في التحكم بالاحتياجات الكبرى المعززة للوجود الإنساني حرمانا وتوفيرا مثل الحاجة إلى الطعام والأمن والتقدير والمكانة الاجتماعية. كان هذا مسلك النمر مع مجموعة الذئاب في جزيرته لترويضها على الطاعة عندما منعها الصيد مع وفرة الظباء وبقر الوحش، كما تقول شكواهم: "نحن هاهنا جماعة ما يتجرأ واحد منا أن يخرج من بابه شبرا واحدا، وإنّا لمن الهزل والضّرّ في ما ليس فيه خلق"٣. ونجده في عهد الأمان لشنزبة الذي وفّر قربا وتفاعلية عالية في الطاعة بعد نجاح عملية التفاوض حسب منطق دمنة"وأمرني، إن أنت عجلت الإقبال عليه طائعا، أن أؤمنك على نفسك وما سلف منك من الذنب في التأخير عنه"٤. وهو الأمر ذاته الذي حققته آلية التقريب والإقصاء في نفس الغواص"إن نفسي ليست محبة للرياسة(...)وإني أُكرِهك فتكون مُلجأ إليه وتنصرف نفسك"٥؛ لذا تحولت إلى ما يشبه العقاب السجني له ٦؛ من خلال ما خلقته من من منافسات في دائرة السلطة جعلت من معيار التقرب من السلطة بأية وسيلة أمرا ممكنا؛ بغية دفع الخوف على ضياع التراتبية والمكانة والإحساس الدائم بالتهديد بانقلاب الأحوال وخسران المكانة .

---

١ النمر والثعلب ، ص ١٩.

٢ ينظر الفصل السادس من الباب الرابع بعنوان "نوع الاستبداد الذي ينبغي أن تخشاه الأمم الديمقراطية " من كتاب الديمقراطية في أمريكا، ألكسيس دوتوكفيل، ترجمه وقدم له وعلق عليه أمين مرسي قنديل، عالم الكتاب ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩١، ص٧٠٧_٧١٢.

٣ النمر والثعلب ، ص ١٩.

٤ كليلة ودمنة ، ص ٩٣.

٥ الأسد والغواص، ص١٠٥.

٦ الإنسان المهدور دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، مصطفى حجازي، مصدر سابق، ص ٩٨.

ويمكن إدراج الترويض الذاتي تحت هذا النوع من الاستبداد حيث يتمثّل في تعايش الذات المغلوبة مع ألمها، وتأدية فروض الطاعة؛ وخير من يصور هذا النوع صورة الغواص وهو في السجن وقبوله قرار الأسد مقتنعا أن النصيحة تستوجب سجنه متغلبا على إحساسه ببراءته من التهم الموجهة إليه، يقول مخاطبا نفسه:"فأظن هذا النصح الذي قمت به هو ذنبك الذي يؤاخذك عليه"١.

ويعدّ الترويض الدبلوماسي أو العفو نوعا من الاستبداد العادل؛ لأنه يأتي بعد سلسة من التنازلات وإخضاع الإرادة مقابل تحصيل قدر من المكاسب بالنسبة للسلطان أكبر مما تحققه العقوبة، لذا تناقله السلاطين في نصائحهم لورثة الحكم؛ وهو ما فعله سلطان تلمسان في وصاياه لابنه٢. "فالسلطان لا يعفو عن أحد في الحقيقة، بل يسجل كل الأعمال العدوانية المخالفة لنظامه ويستبدل عفوه بالطاعة والخضوع"٣؛ فيكون العفو أقرب إلى التجارة أو المقايضة بين الحياة وطاعة السلطان؛ لأن تجارة العفو تدبّر" مالا تدبّر السياسة وتصلح به ما لا يصلح بالرياسة"٤. وقد كانت هذه حالة مرزوق التي عاشها تحت رحمة اختبار عقلي عقلي تناوب على إجرائه النمر ووزراؤه حتى خلّص عنقه من السّيّاف "فإني رأيت أن أعفو عنه ولكن امتحنوه في مقامكم هذا، واختبروا عقله"٥ فبقي سهل شهادة على هذا النوع من الاستبداد.

فيما كان الترويض الفكري هو الأخطر٦؛ لأنه يخضع الفكر والعقل إلى مرجعية تشكّل سلطة مطلقة،لا تخضع للجدل أو المساءلة ،ولا يملك الفرد أمامها إلا طاعة وخضوعا كما في خضوع السرد لمنطق خطاب سلطوي واحد له الكلمة الفصل، صار أمامه كل ما جاء به السرد والأدب السلطانيين لا يتعدى أقوالا تعود إلى عوالم غابرة لا يعرف قائله ولا زمان ميلادها.

أما علاقة السلطان بالاستبداد كما ظهرت في السرد السلطاني فإنها علاقة مراوغة فيها قبول له عملا بمبدأ التغيير الإيجابي وهو نوعان: تغيير عملي بأدوات بشرية يحركها السلطان، ويرسم خطوط مراحلها.

---

١ الأسد والغواص ، ص١٤٨.

٢ واسطة السلوك في سياسة الملوك، أبو حمو الزياني ، قدمه وعلق عليه عبد الرحمن عون ومحمد الزاهي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، تونس ،١٩٩٠، ص ١٦٦ -١٦٨. الإنسان المهدور، مصطفى حجازي ، مصدر سابق ، ص٩٩.

٣ "Masse et puissance, E.Kanetti.p317-318 نقلا عن الآداب السلطانية، عز الدين العلام، مصدر سابق، هامش رقم ٣٥، ص ٢٦٣.

٤ واسطة السلوك في سياسة الملوك ، الزياني، مصدر سابق ، ص١٦٦ -١٦٨.

٥ النمر والثعلب ، ص ٥٨.

٦ للمزيد ينظر : الفصل الخامس الهدر الفكري في الإنسان المهدور، مصطفى حجازي ، مصدر سابق، ص١٦٣ -٢٠٠.

وتغيير فكري يشمل المنظومة الثقافية والقيمية لأفراد المجتمع يقوم به أصحاب الفكر[1]. وكلا الطرفين عبيد عصاه[2]، وأصابعه التي لا يأمنها ولا يثق بها؛ نجد هذا في استبداد دبشليم بموضوعات السرد وكأنه يخشى أن تنفلت معرفة ما من بين أصابعه وهو في غفلة عنها لا سيما أنه يتعامل مع صاحب معرفة مخاتلة، ثم حكم على هذه المعرفة بالسجن في خزائن ملكه خشية إطلاع الآخر عليها، واتخاذه إياها سلاحا يغزوه به ويحتل مجده[3].

وفي خضم هذه الإشكالية سادت في السرد السلطاني صورة للسلطان في إقباله على القهر والبطش؛ لذا رمزوا له بالأسد والنمر والذئب لقدرتها على البطش والقتل، وجعلوا مكونات صورته حقّا لا يمكن دفعه أو مقاومته؛ لأنه مستمد من قدرة عليا منحها الله له ليقيم العدل؛ فهو ظله على الأرض[4]. وهذا مشهد عام في الأدب السلطاني رسمه المثقف لتبرير استخدام العنف والاستبداد؛ بل تمّ تمجيده ربطا له بقضية كبرى هي وحدة المجتمع وحمايته؛ والغاية من هذا ألا يظهر السلطان زعيما سلطويا تعتمد قوته على الاستبداد؛ وإنما قيادي من نوع خاص يطغى عليه حلم وانتظار لزعامة أبوية وقيادة من النمط الخليفي تعويضا عن خيبة حاضر السرد وواقعه المرير[5]. وتلتحق الحيلة بعد تحويرها بمظهر القهر في صورة السلطان وسط ثناء منظري منظري السرد والأدب السلطانيين[6]. وسبب هذا التحوير الإبقاء على صورة الفرادة والتمييز عند السلطان. ويعدّ الخوف من دوافع الاستبداد في صورة السلطان: الخوف من التفكير النقدي والعقلاني، الخوف من الاختلاف؛ لأن السلطة تبحث دائما عن الإجماع الشعبي، وتخشى التمايزات والمغايرة[7].

---

١ القرآن والسلطان، فهمي هويدي ، دار الشروق،القاهرة ، ط٤،١٩٩٩ ،ص١٥١.

٢ مجمع الأمثال، الميداني، مصدر سابق،ج٢،ص١٩ -٢٠.

٣ من شرفة ابن رشد، عبد الفتاح كيليطو، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي ،دار توبقال ،الدار البيضاء ،ط١،٢٠٠٩، ص٩ -٥.

٤ الفكر السياسي عند المسلمين ، أ.ك.س لامبتون ، من كتاب تراث الإسلام ، تصنيف شاخت وبوزورث ، ترجمة إحسان صدقي العمد ، عالم المعرفة ،ع١٢، ١٩٧٨ ، ٣٥ -٤٢ .

٥ لا يعدّ الزعيم الأب والنمط الخليفي استمراراً للنمط النبوي لأن تجربة النبي (ص) في النظر والواقع فريدة ولم تتكرر في. ينظر المزيد حول حلم الزعامة وصناعة البطل : النمط النبوي _الخليفي في القيادة السياسية العربية والديمقراطية، بشير محمد الخضرا، مصدر سابق، ٥٦٣ . الزعيم السياسي في المخيال الإسلامي بين المقدس والمدنس، محمد الجويلي، مصدر سابق، ص ١٩٩.

٦ على سبيل المثال لا الحصر ينظر : الإشارة إلى أدب الإمارة، المرادي، مصدر سابق، ص ٢٢٩ . تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، الماوردي ، تحقيق رضوان السيد، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧، ص ٢٥٦. السياسة والحيلة عند العرب "رقائق الحلل في دقلئق الحيل"، مصدر سابق ، ص٢٣.

٧ الجماعة والمجتمع والدولة: سلطة الإيديولوجيا في المجال العربي الإسلامي، رضوان السيد، دار الكتاب العربي، بيروت ، ١٩٩٧. ص١٥٩ . جذور المكيافيلية في كليلة ودمنة، مصطفى سبيتي ، مصدر سابق، ص١٠١.

وتكتسب رؤية الخوف في صورة السلطان أهمية لازدواجيتها؛ فقد عانت شخصية السلطان من القلق والخوف من جهة، ومن شعور داخلي بالتميز والاختلاف عن الغير لرسوخ صورة(الرجل العظيم١) في نفسه من جهة أخرى. هذا المزيج من الضعف والقوة؛ مرده طبيعة الإحساس بممارسة الاستبداد باعتباره أداة سياسية يواجه بها خطر إمكانية انفلات زمام الأمور من يده؛ فجاء الاستبداد ليخفي صورة الخوف من نفسه ويغطي شعوره بالنقص عن امتلاك صفات حددتها الأدبيات السلطانية لتخلق الانفراد والتميز بين السلطان والرعية؛ وهو جانب نجح المثقف باختراقه لكنه حصد قتلا وتعذيبا واعتزالا؛ فـ"أسباب الموت والحياة معلقة بطرف لسانه، لا يعرف ألم العقوبة فيبقي، ولا يؤنب عن بادرة فينتهي"٢. بل أن استخدامه العنف إقرار منه بالضعف لأنه قد يُفقِدُه سلطانَه. فإذا حدث؛ فإنه لا مفر لها من اللجوء إلى العنف لتحقيق الطاعة؛ من هنا تأتي مشاركة السرد لتزيين هذه الصورة ليس لأجل العنف نفسه؛ وإنما لغاية جليلة مبنية على العدل .

وينتشر الخوف على مساحة الحدث كله وعند كل الأطراف المشاركة في أطروحة الطاعة؛ فالمثقف يعيش صراعا مع الخوف: خوف من تبعات الإقدام على هذه الحياة الجديدة، وخوف من قمع الرغبة في داخله لاقتحام عالم السلطان وإعادة تشكيله وفق رؤيته الخاصة. والسلطان يعيش الصراع ذاته خوف من أطروحة المثقف، وخوف من انتزاع السلطة فيما لو لم يحدث الترويض، وحتى مصدر التهديد في السرد بدا خائفا مترددا؛ فهو يهادن متجنبا للعقاب أو متوقعا للعقاب؛ ربما هذا حال مجموعة الذئاب في جزيرة مناهل الظباء عند سهل في امتثالها للخوف الناتج عن توقع العقاب من النمر حاكم الجزيرة في حال اكتشف أمر تجمعها؛ وهذا يشير إلى صورة تلازمية بين سرية الاجتماعات وحياكة المؤامرات. كذلك يُخْلق الخوف من لعبة التوازنات التي يقيمها السلطان في ترتيبيته الهرمية بين التقريب والإقصاء بين أفراد الحاشية٣.

ويمكن أن نجمل صورة السرد في ممارسة ثلاثية للتعاطي مع مفهوم الاستبداد في حياة المثقف: فهو يبرر لاستبداد السلطان ولا يخلقه وإنما يتعامل مع قرار أُتخذ مسبقا من السلطة، وما عليه سوى تنوير الجوانب البراغماتية منه، وهذا يشبه البيانات الرئاسية التي تصدر الآن. فقدكان قرار الأسد"وذلك أن بقربنا جاموسا

١ عهد أردشير ،مصدر سابق ،ص٤٩ . النمط النبوي _الخليفي في القيادة السياسية العربية والديمقراطية ، بشير محمد الخضرا ، مصدر سابق ، ص١٠٥ -١٠٧.

٢ النمر والثعلب، ص٣٢.

٣ الإنسان المهدور دراسة تحليلية نفسية اجتماعية ، مصطفى حجازي ، مصدر سابق ، ص ٧٩.

قويا(...)وأخشى أن ينفتق علينا منه فتق، وأنا من مجاورته على ضرر(...).وقد عزمت على مصادمته"١، هذا القرار تم تحويره عبر المثقف ونصائحه وتحويله إلى شكل آخر هو الشكل التفاوضي أو السفارات٢. وقد يكون عبر دور عنفي بأدوات بعيدة عن السلطان كما فعل الغواص من خلال ضرب المجموعات بعضها البعض .في حين قد تأتي قرارات السلطة التي تتطلب من المثقف تحويرها إعلاميا مخالفة لرؤية المثقف نفسه، على هذا النحو جاءت قرارات الذئب في مع النمر مخالفة سياسة المثقف؛ لذا عاتبه قائلا: "فعصيتني وغويت"٣.

ويقابل هذه التشاركية في العنف من جانب ثان مرحلة التطهير والتضحية؛ حيث يمارس فيها المثقف السلطاني الاستبداد على نفسه من خلال إدراكه أن الخطاب السلطاني له وجه واحد فـ"السلطان لا يضره استماع النصائح؛ لأن الخيار إليه في العمل بها والترك لها"٤، لكنه مطالب بها، ولأنه أحيانا يزَجُّ به في مرحلة تنفيذ القرار وتحمل تبعاته؛ فيكون بذلك فداءً للمجتمع كما فعل بيدبا ودمنة"فإن شاء الملك فليبعثني نحوه، وليقم في مكانه حتى أرجع إليه ببيان ما يحب أن يعلم"٥، أو كما فعل الغواص "وأنا(...)أبذل فيه نفسي دونه (أي دون الملك) فإن فزت فهو مطلوبه، وإن لم أظفر فإن اللقاء معه إلى وقت إرادته"٦، وهو دور مرزوق"فإن ظننت أنه يكفيك(...)أصوغ لك كلاما إذا نثر على العاقل استبرعه، واستحسن نظمه"٧.

ومن جانب ثالث قد يقع المثقف ضحية لاستبداد السلطان عليه بإنكار فضله، وتهميش مكانته كما فعل أسد دمنة بتقريب الثور وإقصاء دمنة، أو كفعلة النمر من أخذه مرزوق بجريرة الذئب لولا لطف الأقدار، وفي زج الغواص بالسجن تصديقا لمكيدة أعدائه. ولكن كل هذه الممارسات لها إيديولوجيا خاصة؛ فأي تهديد للتراتبية الاجتماعية على مستوى الفرد والجماعة كفيل بإحداث هزة في النظام واستقراره؛ ولإعادة الأمور إلى نصابها لا بد من اجتثاث هذا التهديد، وبوعي جديد يدرس فيه كل الخيارات بشكل أكثر عمقا

---

١ الأسد والغواص، ص٧٥.

٢ كاتب السلطان حرفة الفقهاء والمثقفين ، خالد زيادة ، مصدر سابق، ص ١٧٤. ينظر : مثلا صور سفارات لسان الدين ابن الخطيب في كتبه: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، مصدر سابق، ص ٣٠٥ . الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٤ ، ج٢ ، ص١٧. ابن الخطيب سفيراً ولاجئاً سياسياً، عبد الهادي التازي، مجلة كلية الآداب بتطوان، السنة الثانية، عدد ٢، ١٩٨٧، ص ٤١ -١٠٠.

٣ النمر والثعلب، ص١٤٠، ص١٥١، ص١٥٦، ص١٦٢.

٤ الأسد والغواص، ص٧٢.

٥ كليلة ودمنة، ص٩٢.

٦ الأسد والغواص، ص ٧٦.

٧ النمر والثعلب ،ص١٦١.

وشمولية. فقد استأصلت السلطة الخطر على يد المثقف ثم استأصلت المثقف كي لا يُعلّم الخطر و لا يرسم له طريقا جديدا١.

ولعل ثمة عوامل بشرية وفكرية وعقدية أسهمت في وجود الاستبداد: تتمثل الأولى بالوسط السلطاني (الخاصة). وتأتي خطورتها في أنها لا تكتفي بعمل ما يديم استبداد السلطان وبقاء سلطته؛ بل تفكر بما يمكن أن يفكر به وكأنها تتنبأ بما يريده؛ فتدرس حركاته وسكناته وتحوّلها إلى أدوات ترصد رغباته٢، ثم تنقلها إلى خطوات إجرائية تنفيذية، والأخطر أنها تبرّر وتعلّل تلك الرغبات ليبدو أن المستبد لا ناقة له فيها ولا جمل، وهي تدرك أنها تلعب على محور الرغبة مابين رضا وغضب لذا تبقى في حالة ترقب للحالة المزاجية للمستبد، فتعيش وضعية قلقة خطرة على مكانتها إذ لا أمان لأحد، ولا غفران لأي خطأ؛ فنتج عن هذه الحالة وضعا قائما على الصراع والتنافس بين أفرادها ترتّب عليه توفيركم هائل من حالات الاستبداد والمكائد٣.

أما الثانية فناتجة عن تفعيل قضية ذات بعد ديني في الثقافة العربية والفارسية يسعى المستبد للتماهي معها بحيث يتحول إلى رمز مقدس إنها المماثلة التي عدّها السلاطين ركيزة جد صلبة لحكمهم بل رددوا مفتخرين ما تمنحهم من تميّز وقوة؛ هذا المنصور يخاطب الناس في مكة "أيها الناس :إنما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسديده"٤، وقيل ظل الله؛ ولعل استعارة الظل هنا للحماية والوقاية، فالظل نفسه تحوّل إلى قيمة مادية ملموسة في عهد العباسيين حين اتخذوا لواءً رمزا لهم يسمى لواء الظل أو السحاب٥ .

.

وتأتي المماثلة بمفهوم التفويض الإلهي لفرد السلطان بتولي شؤون المجموع؛ وهي تماثل الاستعارة الرعوية في الأدب العبراني؛ حيث يصبح الراعي (السلطان) مكلفا بصفة مباشرة من الله رب الغنم لرعايتها٦؛

---

١ الأمة والجماعة والسلطة، رضوان السيد ، مصدر سابق، ص١٠٦.

٢ الكاتب في حضرة الخليفة، رفقة رويدة ، مصدر سابق، ص ١٠٢ . ينظر: الأدب الكبير، ابن المقفع، مصدر سابق، ص٣٨ -٣٩.

٣ الإنسان المهدور دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، مصطفى حجازي ، مصدر سابق، ص ٨٥ -٨٦ . سراج الملوك ، الطرطوشي ، مصدر سابق ، ص ١٨٨.

٤ العقد الفريد ، ابن عبد ربه، تحقيق عبد المجيد الترحيني ،مصدر سابق، ج٤ ، ص١٨٦

٥ تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، مصدر سابق ، ص ٦٦٣

٦ الاستعارة الرعوية نحو نقد العقل السياسي، ميشال فوكو، ترجمة جورج أبو صالح ، مجلة الفكر العربي المعاصرع ٤١ ، ص٥٢ نقلا عن الزعيم الزعيم السياسي في المخيال الإسلامي بين المقدس والمدنس، ، مصدر سابق، ص٧١ . للمزيد ينظر : رمز الراعي في بلاد الرافدين ونشوء فكرة السلطة الملكية ، اليزة زابيرت، ترجمة محمد وحيد خياطة ، العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٨، ٧ -٢٣.

فيصبح حكم السلطان بهذا الشكل كأنه أمر إلهي على الجميع الخضوع له؛ وبناء عليه اكتسب السلطان مشروعية متعالية ومتجاوزة للواقع وللأفراد العاديين، وتمّ تثبيت هذه الفكرة(المماثلة) في سياسة الطاعة، ومع أن الدين بريء من هذه القيمة الكسروية لكن سوق الأدب السلطاني لم تكن بريئة فقد عاث منظرو الأدب السلطاني بحثا عن مبررات لها من القرآن والسنة والتاريخ بغية وضع مقترح شمولي يساعد السلطان في الهيمنة على الدين والقانون لتحقيق الاستقرار ودوام السلطة؛ فربطوا لذلك بين (تمجيد القوة وتقديس الطاعة)١، وأسهموا في تجذيرها في اللاوعي العربي الذي بدا كأنه مسكون بها أصلا٢؛ مما ترتّب عليه قبول انقلاب (لخلافة) بالقوة إلى (الملك)٣، وتحويل القوة الصماء إلى رسالة سامية، وتحويل المجتمع إلى بناء هرمي قدّس الحاكم وألغى القانون.

والأصل في صورة التفويض الإلهي في الإسلام أن السلطان ليس نائبا عن الله جلا وعلا وإنما نائب عن الأمة؛ فالسيادة لله لم يفوضها للسلطان، وإنما أعطاه حق ممارسة السلطة بما فيها حق اختياره من قبل الرعية٤، لكن واقع السلطان يرفض هذا الفصل لأنه يضعفه، ويجعل من سلطته قيمة بشرية تضمنها الأمة وتتحكم بها البيعة؛ وهذا يعرضه لرغباتها ما بين الرفض والقبول؛ لذلك تمسّك بمرجع تنتفي إمكانية تعيينه ما إن تتم الإحالة عليه، فهو أعلى وأبقى؛ لذا تشبث بالمماثلة بصورتها الساسانية والعبرانية، وكرستها على هذا النحو الآداب السلطانية بعد أن صبغتها بغاية سامية هي حماية الوجود والدين، وأضفت شرعية على الحكم القائم مهما كان نوعه، وعدّت المعارضة خروجا عن طاعة الله. وهنا تكمن خطورة الاستبداد في

---

١ عهد أردشير ، مصدر سابق ،ص٥٣،ص١٠٠. الشهب اللامعة ، ابن رضوان ، مصدر سابق، ص ٦٠ -٦٣ . نصيحة الملوك، الماوردي، مصدر سابق ، ص ٦١ -٦٦ سراج الملوك، الطرطوشي، مصدر سابق،ص ١٥٦ . منطق السلطة مدخل إلى فلسفة الأمر، ناصيف نصار، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،ط١،١٩٩٥،ص٦٧ . الطاغية، إمام عبد الفتاح إمام، مصدر سابق ،ص٢٠٤. الفكر السياسي عند المسلمين ، أ.ك.س لامبتون ، مصدر سابق ، ص٤٢

٢ العقل السياسي العربي الجابري ، مصدر سابق، ص٣٨٢ . العقل الأخلاقي العربي، الجابري، مصدر سابق، ص ٦٢٧ .

٣ الزعيم السياسي في المخيال الإسلامي بين المقدس والمدنس،محمد الجويلي، مصدر سابق، ص ٦٠ - ٦١. فالجويلي يرى الخلافة مؤسسة مقدسة في حين أنها شأن إنساني لا وجود لنص مقدس يقدس الخلافة بحد ذاتها، وهذه من البديهيات الفكرية لأن النص القرآني سكت عن طبيعة الحكم . ينظر: الأخلاق والسياسة دراسة في فلسفة الحكم، إمام عبد الفتاح إمام، مصدر سابق ، ص ٢١٥.

٤ الحريات العامة في الفكر والنظام السياسي في الإسلام ، عبد الحكيم حسن العلي، مصدر سابق، ص ٢١٠ . مفهوم الحرية دراسات في مشكلة المصطلح وأبعاده في التراث العربي الإسلامي ، فرانسو روزنتال، ترجمة وتقديم رضوان السيد ومعن زيادة ، دار المدى الإسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧ ، ص٤٦.

استغلال الدين لحمل الأمة على الطاعة في الوقت نفسه الذي يصادر فيه حقها في أن تختار بنفسها من يحكمها، ويتولى قيادتها جاعلا المرجعية الوحيدة هي السلطان وخطابه القائم على تزييف الوعي١.

وفي هذا المجال بدت صور الاستبداد تمظهرات لا تمثل في حقيقتها مشكلة تأملية بل مأزقا حقيقيا في التقاطع بين الفكر والفعل بمعناه الأخلاقي والسياسي٢. هذه الإشكالية لم يقوَ السرد على فض النزاع فيها بل أجده أقرب إلى السكوت عنها؛ جاعلا بطش السلطة هو ضمانة الوحدة٣.

وقامت أخلاق الطاعة في ضوء الاستبداد باحترام تراتبية المجتمع وأي طموح لعمل انزياح فيها يستوجب امتلاك الفرد عدة معرفية وعقلية ومباركة من السلطة؛ وذلك بامتحان مقدار الإسهام في خدمات تعود بالصلاح والنفع على الفرد والمجموع؛ فكيف واجه السرد باعتباره خرقا للأشكال المعترف بها في الثقافة المعيارية جدلية (الاستبداد) ؟؟؟

عرضت مساحات السرد مشاهد للعنف والقتل والاستبداد بشكل يؤكد تأصّل الشر في النفوس، ولكنها في ذات الوقت جاءت تحمي السرد من إشكالية أخلاقية كبرى تتعلق بقيمة هذا السرد، وبدور المثقف في بناء قيم اجتماعية أخلاقية، فهو لا يروج للعنف والاستبداد؛ وإنما يكشف عناصرا متأصلة في الفرد والسلطة وفي كل الثقافات؛ ولمواجهة هذا التأصيل كان لابد من وجود تصوّر عام يقوم على تنظيم يعيد ترتيب بنية الوعي٤.كيف واجه المثقف ذلك، وما الرسالة المقدمة، وهل كان السرد بخطابه الرمزي هروبا من هذه المسؤولية؟

لجأ المثقف السلطاني في مواجهته الاستبداد إلى سلاح الحيلة أو المواجهة الحذرة عندما لم تؤت الحكمة أكلها، أو عندما تفشل القوة؛ ذلك أن مواجهة الشدائد ليست دائما بالقوة أو الانحناء لها بالضعف؛ إنما

---

١ القوة والسلطة، أحمد أوغور، منشورات المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس،ط١،١٩٨٤،ص ٥٤. إسلام الساسة، سهام الدبابي الميساوي، رابطة العقلانيين العرب ودار الطليعة، بيروت ،ط١ ،٢٠٠٨ ،ص٥٣ . استراتيجية التسمية في نظام الأنظمة المعرفية، مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي ،بيروت، ط١ ، ١٩٨٦ ، ص ١٧٠ . كتاب النساء (رسائل الجاحظ) الجاحظ، جمعها حسن السندوبي، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ط١ ،١٩٣٣ ، ص ٢٧٢. الاستبداد ودوره في انحطاط العرب، نبيل هلال، دار الكتاب العربي ،دمشق –القاهرة ،ط٢،٢٠٠٥،ص٢٧ . السياسي واللاسياسة في الفكر العربي الإسلامي ، عزيز العظمة ،مصدر سابق، ص٢٨٧. النص والسلطة والحقيقة إرادة المعرفة وإرادة الحقيقة ، نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ،بيروت – الدار البيضاء ،ط٥ ،٢٠٠٦، ص٩.

٢ في البدء كانت حيلة، نعيمة بنعبد العالي،مجلة فكر ونقد، السنة الثانية ،ع١١، ١٩٩٨، ص٨٠.

٣ الأمة والجماعة والسلطة دراسات في الفكر العربي الإسلامي، رضوان السيد، دار اقرأ، بيروت ،١٩٨٤، ص ١٠٨ -١١٢، ص ٢٧٢..

٤ إشكالية الشر، هاني نصري، دار علاء الدين، دمشق ،ط١،٢٠٠١،ص٢٦ .

بالحيلة"فرب ضعيف بلغ بحيلته ودهائه ورأيه ما عجز عنه الأقوياء"١. والحيل هي تقنيات لبلوغ المراد لذلك ألحّ ابن المقفع على متلقيه؛ ليبذل جهدا في مقاربة سرده كمن يريد البوح بسر ويخشى انتشاره؛ مما أرعب السلطان لقدرة الحيلة على الجمع بين العقل والقوة بما يحقق أهداف الفرد في التحول من حال لأخر٢.

وفي السرد السلطاني نجد دعوة صريحة باللجوء إلى الحيلة٣، وحظيت بمواضع كثيرة منه وحملت التفاعلات النصية صورا عديدة لها لتحقيق قيمة وظيفية تتعلق بالغاية الوعظية والتعليمية؛ فمثلا في سبيل الاحتراس عند تنفيذ مكائدهم عرض أعداء الغواص تسعة نماذج للحيل اتخذت شكل أخبار مرجعية وشبة مرجعية في ذات الموقع٤. ومارسها دمنة في دوره التصارعي عبر ثنائية طريفة؛ فمرة يدعو لها باعتبارها حقا له في الدفاع عن تراتبيته التي اضطربت بقرب شنزبة من السلطان٥؛ ومرة ينفر منها باعتبارها برنامجا مضادا لفكرة الدسيسة السياسية التي يسعى بها لإستعادة تراتبيته السلطانية. وتتبع هذه الازدواجية مظهر ثنائية الظاهر والباطن التي تقوم السرد ومقاصده .

والاحتيال هنا وجه من الاستبدال تستبدل وضعا خارج السرد بآخر داخله، وتعري الاستبداد الحقيقي بطريقتها السردية وتمثيلها الرمزي. وتقوم الحيلة بمهمة بيداغوجية خطرة تتجه بها إلى قاعدة الهرم الاجتماعي بغية تسييسها للطاعة؛ فيصبح المجتمع كله عندئذ نسخة عن دمنة (أديب داهية) وعندئذ ستكون السلطة عاجزة عن مواجهته. وفي ربط النصيحة بالحيلة تشويه لوجهها الحقيقي الذي يمثل العدل والنقاء.

باختصار الحيلة قادرة على تغيير مصائر السلاطين ورعاياهم إذا فهمت رسالتها جيدا٦؛ والمقصود من الفهم "تحصيل المعرفة الباطنة وامتلاك ما يريد النص إبلاغه"٧. وهذا ما احتاط له المثقف السلطاني حتى لا لا يثير نقمة السلطان عليه؛ إذ جعل عمقها يعتمد على تأويل خاص بل أن الأمر بلغ بيدبا حد سجنها في خزائن السلطان حتى تم تحريرها على يد بروزيه طبيب أنو شروان، ونقلها ابن المقفع وانتشرت عارضة سلاحا أقل دموية وعنفا من حروب السلاطين مع الترويض .

---

١ كليلة ودمنة، ص ٩٨ .

٢ كتاب التعريفات، الجرجاني، مصدر سابق،ص١٢٧، ص ١٠٨.

٣ النمر والثعلب ،ص١٦٥ ،الأسد والغواص، ص٧٥ -٩٥ . ينظر : في البدء كانت حيلة، نعيمة بنعبد العالي ، مصدر سابق، ص٧٣ -٧٤ .

٤ ينظر مواضع ذلك، الأسد والغواص ، ص ١٣٣_١٣٩ .

٥ ينظر كليلة ودمنة ، ص ١٠٥_ ١٢٠ .

٦ بلاغة المقموعين ، جابر عصفور، مصدر سابق ، ص ٤٤.

٧ بيان القراءة عند ابن المقفع، سعيد يقطين، مصدر سابق، ص ٢٧.

وفي السرد السلطاني لم يرض السلطان عن استعمال الحيلة في بداية المشروع؛ إذ لا تليق بمكانته لكنه لم يرفض التفويض باستخدامها ليحقق مصالحه[1]؛ وفي هذه ازدواجية كغيرها من الازدواجيات التي عاشها السلطان بين رفض الشيء لقيمته الاجتماعية وقبوله لقيمته الوظيفية النفعية. والحيلة في هذه الجدلية لا تمثل جانبا وعظيا ولا تربويا ولا تقوّم اعوجاج المجتمع؛ إنما تحدٍ لإشكالية الأخلاق نفسها[2]. وأخطر ما فيها أنها تستخدم منطق الحق والعدل بطرق ملتوية؛ ولكي تصل إلى مبتغاها لابد لها من تهيئة نفسية وعقلية تمارسها على الطرف المتلقي، وتقوم هذه التهيئة على أمرين:

الأول تكثيف صورها بغية إظهار الجوانب الايجابية لاستعمالها[3]. والثاني التقليل من قيمة البدائل الأخرى المعروضة للاختيار حتى يخلق مستخدمها حالة من الاضطراب والخلخلة في عقل الطرف المستهدف.

والدرس فيهما تعليم الحذر والاحتياط؛ ولا يعني ذلك دعوة للتقاعس، فيظن أحدهم أن الاستبداد لا يمكن قهره، وأن السرد وسيلة للهروب من استبداد الواقع إلى عدالة الغاب -إن كان فيه عدالة – إنها علامة قدرة قوية على المواجهة في ظروف استثنائية من حياة التاريخ العربي، ولكن هل السرد السلطاني احتال لذاته داخل جسد الثقافة السلطانية أم بقي يحمل بصمات اغترابه ؟

٣. جدلية المثقف والاغتراب : يعدّ الاغتراب من أكثر المصطلحات دراسة وبحثا عند الفلاسفة والمفكرين؛ لما يحمله من غموض ودلالات واسعة حول مفاهيم انعدام السلطة والانفصال عن الذات والاستياء وعدم القدرة على التكيف مع المجتمع[4]، وغيرها من حالات الاغتراب التي شهدتها البنية المعرفية والنفسية للإنسان على مستوى الوعي الداخلي وعلى المستوى الموضوعي الخارجي[5].

---

١ ينظر موقف السلطان من الحيلة في النماذج: كليلة ودمنة، ص ١٠٤_١٠٧. النمر والثعلب، ص٢٠_٢٣ .الأسد والغواص، ص ٨٢_٨٧.

٢ في البدء كانت حيلة، نعيمة بنعبد العالي،مجلة فكر ونقد، السنة الثانية ع١١، ١٩٩٨، ص٨٠.

٣ ينظر كثافة الصور الدالة على قوة الحيلة : الأسد والغواص، ص ٧٧ -٨٧.

٤ الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية ، يحيى العبد الله ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥ ص٢٣

ص٢٣ . الاغتراب سيرة مصطلح ، محمود رجب ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ط٢ ، ص٥.

٥ الاغتراب مصطلحا ومفهوما وواقعا، قيس النوري ، عالم الفكر ، مج١٠ ، ع١،١٩٧٩، ص ١٣. الاغتراب بين القيمة المعرفية والقيمة الجمالية ، صبار صبار نور الدين، مجلة الموقف الأدبي ، ع ٣٥٥ ، السنة ٣٠ ، ٢٠٠٠ ، ص٥١.

والاغتراب معجميا هو البعد والنوى والنفي[1]. أما اصطلاحا فيأتي بمعنى تحويل شيء ما لملكية شخص آخر أو الانتزاع ويمتد إلى معنى الانتماء أوالتعلق بالأشياء[2].

وقد شكّلت حادثة خروج آدم من الجنة ونزوله إلى الأرض أولى علامات الاغتراب في الثقافة الإنسانية[3]. وفي الأدب السلطاني عُدّ الاغتراب مرجعية اجتماعية سياسة وثقافية على حد سواء، وحملت الكثير من المعاني الفلسفية التي تدخل في وعي الفرد بالصراع القائم بين ذاته وبين البيئة المحيطة به ، وشكّلت وجوها للاغتراب مع السلطة السياسية والاجتماعية والأنساق الثقافية.

فاتخذ بعضها شكل اغتراب سياسي ابتداء من تحول الخلافة إلى ملك؛ لأن الملكية ليست معهودة عند العرب؛ فهم أبعد الأمم عن سياسة الملك[4]، ولا تقاليد لها عندهم؛ بل غريبة عنهم وهو ما يعيه مثقفو السلطان لأنها"صادرة عن خزنة النيران وسدنة بيوت الأصنام وعبدة الأوثان"[5]؛ فالتحول السياسي جعلهم يستسلمون أمام نماذج مغتربة تحتاجها التجربة الجديدة.

أما اغترابها الاجتماعي والنفسي فيتعلق بصلة المثقف مع مجتمعه ورغبته في تعديل سلوك السلطة وما تبعه من فشل في تحقيق تواصل سليم مع المجتمع. فالمثقف عندما أقدم على السرد كان في داخله استجابة لرغبة فطرية في العودة إلى الجماعة بعد أن انفصل عنها بحكم اقترابه من السلطة فلما أراد العودة لم يكن سهلا عليه[6]؛ لما يشعر به من اغتراب نفسي لافتقاده المغزى الذاتي والجوهري للعمل الذي يؤديه؛ وهو ما جعل ابن المقفع يلح على ضرورة القراءة لفهم دوره، وجعلت سهل بن هارون يقبل الانتقال تحت ظلال أي سلطة وجعلت الغواص يقبل هزيمة عمله ويعتزل المجتمع . فشعور المثقف بالفشل وإحساسه بالعجز عن ممارسة أي فعل سياسي ليس لعجز حقيقي عن الفعل بل لإيمان راسخ بأنه لا فائدة لأي نوع من الفعل مادام أن التحول السياسي جعل اللعبة كلها بيد السلطان .

---

١ لسان العرب ، ابن منظور ، ج١، ص ٦٣٧ -٦٤٨ ، مادة غرب

٢ الاغتراب بين القيمة المعرفية والقيمة الجمالية ، صبار نور الدين ،مصدر سابق، ص ٢٠ . للمزيد فقد تتبع محمود رجب تطور هذا المصطلح في كتابات الفلاسفة خاصة هيجل الذي له فضل السبق في استخدامه . الاغتراب سيرة مصطلح ، محمود رجب، مصدر سابق ، ص١٠٩ -١١٥.

٣ الاغتراب سيرة مصطلح ، محمود رجب ، مصدر سابق، ص١٨١. الاغتراب في الإسلام ، فتح الله خليف، عالم الفكر، مج١٠،ع١ ، ١٩٧٩ ، ص ٨٨ .

٤ تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، مصدر سابق ،ص ٧٩.

٥ سراج الملوك، الطرطوشي، مصدر سابق ، ص٥

٦ الخطيئة والتكفير، عبد الله الغذّامي، مصدر سابق، ص ١٤٨ . ينظر : وظيفة الثقافة في فكر الاستسلام ، فيصل درّاج ، مجلة الوحدة، الرباط، ع٣٥ -٣٦ ،السنة الثالثة ،أيلول١٩٨٧،ص١٨ -٣٠ . الاغتراب مصطلحا ومفهوما وواقعا ، قيس النوري ،مصدر سابق ، ص ١٩.

وكان للاغتراب على المستوى السياسي والاجتماعي والنفسي أثره في دفع المثقف السلطاني للبحث عن بدائل ثقافية تعالج أوضاعا مشابهة للنوعية التي يعايشها؛ فكانت النتيجة اغترابا ثقافيا على مستوى الفكر والبنية ونوعية المثقف. فقد جاءت مشروعات النصيحة السلطانية بشكلها الفني من منظومات وافدة تم صهرها مع الثقافة العربية الإسلامية لغايات براغماتية تتعلق بديمومة السلطان وترويض الرعية؛ فكانت كليلة ودمنة عملا تجاوز دور التعريب ليكون فتحا جديدا في النثر الفني في الأدب العربي، وانزياحا وخلخلة في البنية الثقافية العربية١.

فقد مثّلت كليلة ودمنة صورة للاغتراب الفني لكونها نموذجا مترجما؛ فهي من جهةٍ تحسُّ باختلافها عن الجسم الذي فارقته باعتبارها كياناً مستقلاً مغايراً. ومن جهة تحس باغترابها في وسط اجتماعي يُحسِّسُها باستمرار باغترابها والعودة إلى هذا الكل الآخر والاختباء داخله٢. وهذا محال لأنها أصبحت النموذج الوحيد بعد ضياع الأصل٣.

ويعكس هذا الاغتراب الموقف من مصداقية الترجمة أمام كثرة الطعون التي شككت بعملها ؛كون"الترجمان لا يؤدي أبدا ما قاله الحكيم"٤؛ فيما بينت نتائج علم الفلوكلور أن دور ابن المقفع في في الترجمة تمثل في إعادة بناء النص أدبيا، وإخضاعه سوسيولوجيا للبيئة الجديدة تناسب مع حالة تلق متوقعة وإلا" فشلت العملية السردية برمتها "٥؛ لذا استغل اغتراب الترجمة في بعض مراحل التجربة السياسية قناعا للطعن في المترجم وعمله تحته دواع خطيرة مثل الزندقة والشعوبية٦.

---

١ القصص والقصاص في الأدب الإسلامي، وديعة طه النجم ، دراسات في التراث العربي ،سلسلة تصدرها وزارة الإعلام ، الكويت ،مطبعة الكويت،د.ت ،ص٢٣ . البنجاتنترا ،مصدر سابق، ص١٠.

٢ الاختلاف والائتلاف في جدل الأشكال والأعراف مقالات في الشعر ، طراد االكبيسي، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٠، ص ٧١.

٣ الترجمة والنسق الأدبي تعريب الشاهنامة في الأدب العربي، عبد الكبير الشرقاوي، مصدر سابق، ص١٤.

٤ الحيوان، الجاحظ ، مصدر سابق ،ج١، ص٧٥ .

٥ حكايات الحيوان في التراث، محمد رجب النجار، مصدر سابق، ص١٩٥. البنجاتنترا، مصدر سابق، ص ٢٦٢ .

٦ يقول الدميري" بودي إن كنت أتمكن من ترجمة كتاب بنج تنترا،وهو المعروف عندنا بكتاب كليلة ودمنة فإنه تردد بين الفارسية والهندية ثم العربية والفارسية على ألسنة قوم لا يؤمن تغييرهم إياه كعبد الله بن المقفع في زيادته باب برزويه فيه قاصدا تشكيك ضعيفي العقائد في الدين وكسرهم للدعوة إلى مذهب المانية، وإذا كان متهما فيما زاد لم يخل عن مثله فيما نقل ". تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، البيروني ، مصدر سابق، ص١٢٣،ص٢٢٠ .

وكشفت هذه المعطيات دور الترجمة في تشكيل اغتراب جديد لمعطيات الثقافة يسهم في تغيير الذوق الأدبي السائد، وتغيير الحساسية الفنية لخلق تهيئة لقبول "خطاب الطاعة الجديد"١؛ فتجاوز خطابها بذلك منطقة المألوف لاعتماده جدلية التأثير والانتشار من خلال إشراك العامة في الرؤية.

وكذلك أسهمت في اغتراب الجمهور المتلقي؛ لأن المثقف يعرف مسبقا أن عمله قصير العمر، إذ لا تشيخ سوى الأعمال الأصيلة فيما تمضي الترجمات ويحل بعضها محل بعض"٢. فكان جمهوره معربا أو في طريقه للتعريب٣، وتأتي خطورة هذا الاغتراب لأنه يسمح للأنظمة المتسلطة بتدبيج قانون ثقافي يخفي طبيعتها ويقدم جمهورا راكعا على ركبتيه٤: جمهورا مجردا من العقل، خاضعا للأهواء والنزوات وللعنف٥؛ ربما هذا هذا كان أحد أهداف سلاطين المرحلة من حركة الترجمة، وأحد أركان برامجهم السياسية التي اعتمدت عليها أنظمة حكمهم في فترة الانفتاح الثقافي٦.

وتعكس شخصياتها الإنسانية المرجعية اغتراب نماذجها التاريخية الناجحة مثل أنوشروان وأردشير بن بابك، ودبشليم وسط سكوتها عن النماذج الإسلامية الناجحة؛ فلم تحقق معرفة ناضجة ومتوازنة؛ لأنها أظهرت جانبا واحدا من الحقيقة، ولم تظهر ذلك الجانب المعتم برموز فاشلة سلطانيا، ويحمل شكلها الفني الرمزي ولغتها السردية وأجواؤها الغرائبية القائمة على وجود شخصيات حيوانية ناطقة بالحكمة ، وتفكر كما يفعل الإنسان اغترابها من منظور نقدي للثقافة العالمة٧. لذا تمّ تهميشها وإقصائها١؛ فكان ما تعلّق بها

---

١ تكوين الخطاب السردي العربي دراسة سوسيولوجية للأدب العربي الحديث ، صبري حافظ، ترجمة أحمد أبو حسن، دار القروبين، الدار البيضاء،٢٠٠٢، ص١٥٠. الترجمة والنسق الأدبي تعريب الشاهنامة في الأدب العربي، عبد الكبير الشرقاوي، مصدر سابق، ص٣٢.

٢ نقلا عن الترجمة في العصر العباسي مدرسة حنين بن إسحاق وأهميتها في الترجمة ، مريم سلامة –كار، ترجمة نجيب عزاوي ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ط١، ١٩٩٨، ١٠٠.

٣ كتاب النمر والثعلب، تحقيق عبد القادر المهيري، مصدر سابق،ص٢٢.

٤ الكتابة والتجربة، عبد الكبير الخطيبي، ترجمة محمد برادة ،دار العودة ،بيروت،١٩٨٠، ص٣٩.

٥ الكاتب والسلطة، عبد الله الشيخ موسى، مصدر سابق ، ص١٠.

٦ ينظر جهود الخلفاء في تشجيع الترجمة : الترجمة في العصر العباسي مدرسة حنين بن إسحاق وأهميتها في الترجمة ، مريم سلامة –كار ، مصدر سابق ، ص١٣ -١٤. المخيال السياسي في الآداب السلطانية، عامر عبد زيد أستاذ الفلسفة الإسلامية ،جامعة الكوفة ،كتاب مازال مخطوطاً عرض بعض منه في الحوار المتمدن ،ع١٩٦٣ تاريخ ٢٠٠٧/٧/١.

٧ "الثقافة العالمة هي الثقافة المعترف بقيمتها وجدواها، إنها نتاج المعرفة العالمة التي أسهم فيها أعلام الفكر والإبداع المعترف بقيمتهم وتطويرهم لمختلف المعارف والانجازات التي قدم العرب من خلالها رؤيتهم الخاصة إلى الكون، وحققوا تفاعلهم مع الثقافات الإنسانية. أما الثقافة الشعبية فليست سوى تلك الإبداعات العفوية التي أنتجها أفراد عاديين؛ مما جعلها دون مستوى الثقافة ، وترتب على هذا التصور التمييز بين الإنتاج الثقافي العربي إلى آداب الخاصة والعامة ". السرد العربي مفاهيم وتجليات، سعيد يقطين، مصدر سابق، ص٣١ -٣٢.

بها من محاولات لا يتعدى حدود الرد والنقض والمحاكاة، وبهذا تمثل أزمة وعي نقدي ناتجة عن اغتراب الشكل نفسه.

ويقيس الزمن الداخلي للسرد اغترابا عن زمان الكتابة؛ فالحكايات تنقل واقعا زمانيا بعيدا لا علاقة له بزمان الكتابة بدليل أن الملازمة القولية المستخدمة "زعموا، وذكروا، وذُكر" التي تجعل المتلقي يعتقد أن التاريخ واحد؛ فالقديم والحديث يلتقيان معا في حدث واحد، ونموذج واحد هو وحده القادر على استخلاص تجربة حدثت مرة واحدة٢؛ فكان اغترابها بالمتلقي عن زمنه، وتغريبها لتجربته مع السلطة؛قد أفقده الرغبة بمواصلة التجربة؛ لأنها سبقت نتائجها توقعاته.

وأظهرت حالة اغتراب في الانتماء والهوية والدم لأن فئة المثقفين الذين خاضوا تجربة السرد السلطاني في بداية الأمر، وهم من الموالي (الفرس) ؛ لذلك عكست إبداعاتهم حالة اغتراب متجذرة: اغتراب في الأصول والدماء، واغتراب في القيم الاجتماعية والبنى الثقافية، واغتراب في القيم الوظيفية لما يكتبون؛ فهم يصوغون أدبا يديم سلطان غيرهم مقابل حياتهم، ويقدمون أفكارا تسبق عصرهم.

وعكس محتوى السرد اغتراب التجربة المنقولة من حضارات وأنظمة اجتماعية وافدة إلى الحضارة الإسلامية، وقد حاولت النماذج المتأخرة تجاوز هذه الإشكالية بتجارب عربية وإسلامية، لكنها لم تتخل كليا عن النموذج الوافد؛ فأبقت الاغتراب من خلال الامتثال القسري للسلطة ٣ .

بيبليوغرافيا البحث:

المصادر:

- (رسائل الجاحظ) الجاحظ، جمعها حسن السندوبي، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ط١ ،١٩٣٣.
- الإحاطة في أخبار غرناطة ، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد ابن الخطيب المتوفى ٧٧٦هـ، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٤.
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، الماوردي ،حققه وخرج أحاديثه وضبط نصه وعلق عليه عصام فارس الحرستاني –محمد إبراهيم الزغلي ،المكتب الإسلامي ، بيروت –دمشق –عمان ،ط١ ،١٩٩٦.

---

١ وهو مالا يرى فيه مرتاض ضيرا فما هي إلا طائفة من حيوانات عجماء تقدم صورة معكوسة لا يدركها إلا العالمون. القصة في الأدب العربي القديم ، عبد الملك مرتاض، مصدر سابق، ص١٤٣. ينظر مظاهر الإقصاء في : الموقف من القص في تراثنا النقدي، ألفت كمال الروبي، مصدر سابق، ص ٩٦ .

٢ المساحة المختفية قراءات في الحكاية الشعبية، ياسين النصير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء _بيروت ، ط١، ١٩٩٥، ص ٢٣ .

٣ الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت،٢٠٠٦، ص٩٣ -٩٤

- الأدب الكبير ، تحقيق أحمد زكي باشا ، مطبعة جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩١٢.
- الأدب الكبير، عبد الله ابن المقفع المتوفى١٤٢هـ، تحقيق أحمد زكي باشا، مطبعة جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩١٢.
- الأدب الكبير، عبد الله ابن المقفع المتوفى١٤٢هـ، تحقيق أحمد زكي باشا، مطبعة جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩١٢.
- الأسد والغواص حكاية رمزية عربية من القرن الخامس الهجري، باعتناء رضوان السيد، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1978 .
- الإشارة إلى أدب الإمارة، لأبي بكر محمد بن الحسن المرادي القيرواني المتوفى ٤٨٩هـ، دراسة وتحقيق الدكتور رضوان السيد، دار الطليعة، بيروت، ط١،١٩٨١ .
- الإشراف والتنبيه، المسعودي، عني بتصحيحه ومراجعته عبد الله إسماعيل الصاوي، المكتبة العصرية بغداد، دار الصاوي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٣٨.
- أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام أو تاريخ إسبانية الإسلامية، ابن الخطيب، تحقيق أ.ليفي بروفنسال ، دار المكشوف، بيروت ،ط٢ ،١٩٥٦ .
- أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام أو تاريخ إسبانية الإسلامية، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد ابن الخطيب المتوفى ٧٧٦هـ، تحقيق أ.ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت ،ط٢ ،١٩٥٦ .
- البنجاتنترا أو الأسفار الخمسة، ترجمة الدكتور عبد الحميد يونس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠
- البيان والتبيين، لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ المتوفى ٢٥٥هـ، تحقيق الدكتور عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧ ، ١٩٩٨ .
- تاج العروس، الزبيدي، اعتنى به عبد المنعم خليل وكريم سيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧ .
- تاريخ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المتوفى ٨٠٨هـ ، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمان، ٢٠٠٤ .
- تاريخ الطبري أو تاريخ الأمم والملوك، الطبري، تحقيق إياد بن عبد اللطيف القيسي، دار ابن حزم ،بيروت ،ط١،٢٠٠٥.

- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني المتوفى ٤٤٠هـ، صحّح عن النسخة القديمة المحفوظة في المكتبة الأهلية بباريس مجموعة شيفر رقم ٦٠٨٠ بإعانة وزارة للحكومة العالية الهندية، طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الركن –الهند ،١٩٥٨.
- تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، الماوردي ، تحقيق رضوان السيد، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧.
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني المتوفى ٧٤٠هـ، حقّقه وقدّم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت،ط٢ ، ١٩٩٢.
- حياة الحيوان الكبرى، لأبي البقاء كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري المتوفى ٨٠٨هـ، اختيار محمد الحاذق، مراجعة عبد الحميد الدواخلي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المصرية ، القاهرة، د.ت.
- الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى ٢٥٥هـ، تحقيق الدكتور عبد السلام هارون، شركة ومكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٥ .
- رسائل الجاحظ، لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ المتوفى ٢٥٥هـ، تحقيق الدكتور عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٩٦٥.
- سراج الملوك، لأبي بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الطرطوشي المتوفى ٥٢٠هـ، تحقيق جعفر البياتي، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٠.
- السياسة والحيلة عند العرب "رقائق الحلل في دقلئق الحيل"، تحقيق رنيه خوّام، دار الساقي، لندن ١٩٨٨.
- سير أعلام، الذهبي ، أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط ، حقق هذا الجزء حسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، ١٩٩٦. الوزراء والكتّاب، لأبي عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري المتوفى٣٣١ هـ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط١، ١٩٣٨.
- الشهب اللامعة في السياسة النافعة، لأبي القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان المالقي المتوفى ٧٨٣هـ، تحقيق الدكتور الدكتور علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٤ .
- العقد الفريد ، ابن عبد ربه، العقد الفريد ، أحمد بن محمد بن عبد ربه المتوفى ٣٢٨هـ، تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة وعبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، ١٩٨٣.
- عهد أردشير، حقّقه وقدّم له الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت ، ١٩٧٩ .

- قوانين الوزارة وسياسة الملك، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي المتوفى ٤٥٠هـ،تحقيق ودراسة الدكتور رضوان السيد، دار الطليعة، بيروت،ط١٩٧٩،١.
- كليلة ودمنة لعبد الله بن المقفع المتوفى142 هـ، تقديم وتحقيق عبد الوهاب عزام، دار الشروق، بيروت، الشركة الوطنية ، الجزائر ، ط 2، 1981 .
- كليلة ودمنة، تأليف بيدبا ، ترجمه إلى العربية عبد الله بن المقفع ، وزارة المعارف العمومية، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1937
- كليلة ودمنة، تأليف بيدبا الفيلسوف الهندي، ترجمه إلى العربية عبد الله بن المقفع المتوفى ١٤٢هـ، وزارة المعارف العمومية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٣٧ .
- لسان العرب ابن منظور،، دار صادر ، بيروت، د.ت .
- مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني المتوفى ٥١٨هـ، حقّقه وفصّله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٩٥ .
- المجموعة الكاملة ، ابن المقفع ، دار التوفيق للطباعة والنشر ،بيروت ،١٩٧٨.
- نصيحة الملوك، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي المتوفى ٤٥٠هـ، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم، مؤسسة شباب الجامعة ،مصر، ١٩٨٨ .
- النمر والثعلب لسهل بن هارون المتوفى 215 هـ تقديم وتحقيق منجي الكعبي، منشورات الشركة التونسية لفنون الرسم،تونس، ط1، 1980 .
- واسطة السلوك في سياسة الملوك، أبو حمو الزياني ، قدمه وعلق عليه عبد الرحمن عون ومحمد الزاهي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، تونس ،١٩٩٠.
- الوزراء والكتّاب ، الجهشياري، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة، ط١، ١٩٣٨.

المراجع:

- ابن المقفع أديب العقل، فكتور الكك، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦.
- ابن المقفع بين حضارتين، حسين جمعة ، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، ط١ ، ٢٠٠٣ .
- الاختلاف والائتلاف في جدل الأشكال والأعراف مقالات في الشعر ، طراد االكبيسي، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٠.

- الأخلاق والسياسة دراسة في فلسفة الحكم، الدكتور إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢.
- الآداب السلطانية دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي ، عز الدين العلام ، عالم المعرفة ، الكويت ، ٢٠٠٦.
- الآداب السلطانية، عز الدين العلام ، عالم المعرفة ، الكويت ، ٢٠٠٦.
- الاستبداد ودوره في انحطاط العرب، نبيل هلال، دار الكتاب العربي ،دمشق –القاهرة ،ط٢،٢٠٠٥.
- استراتيجية التسمية في نظام الأنظمة المعرفية، مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي ،بيروت، ط١ ، ١٩٨٦.
- إسلام الساسة، سهام الدبابي الميساوي، رابطة العقلانيين العرب ودار الطليعة، بيروت ،ط١ ،٢٠٠٨.
- إشكالية الشر، هاني نصري، دار علاء الدين، دمشق ،ط١،٢٠٠١.
- إشكالية العلاقة بين المثقفين والسلطة، محمود أمين العالم، مجلة الفكر العربي،ع٥٣، السنة التاسعة ، ١٩٨٨ .
- الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية ، يحيى العبد الله ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥. الاغتراب سيرة مصطلح ، محمود رجب ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ط٢.
- الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت،٢٠٠٦.
- اغتيال العقل محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية ، برهان غليون ، دار التنوير ، بيروت،١٩٨٥.
- الأمة والجماعة والسلطة دراسات في الفكر العربي الإسلامي، رضوان السيد، دار اقرأ، بيروت ،١٩٨٤.
- الأمة والجماعة والسلطة، رضوان السيد ، دار اقرأ ، بيروت، 1984 .
- الإنتلجنسيا العربية، مؤلف جماعي ،الدار العربية للكتاب،تونس،١٩٨٧.
- الإنسان المهدور دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، الدكتور مصطفى حجازي، المركز الثقافي العربي، بيروت_ الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥ .
- البلاغة القديمة ، رولان بارت ، ترجمة وتقديم عبد الكبير الشرقاوي ، نشر الفنك ، ١٩٩٤ .
- تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية رواية جهاد المحبين لجرجي زيدان نموذجا، إبراهيم صحراوي، دار الآفاق، الجزائر، ط١، ١٩٩٩.
- تراث الإسلام، تصنيف شاخت وبوزورث، ترجمة إحسان صدقي العمد، عالم المعرفة، ع١٢، ١٩٧٨ .
- التراث بين التاريخ والسلطان، عزيز العظمة، عيون المقالات، الدار البيضاء، ١٩٨٧ .

- تراثنا كيف نعرفه، حسين مروة ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣ .
- الترجمة في العصر العباسي مدرسة حنين بن إسحاق وأهميتها في الترجمة ، مريم سلامة –كار، ترجمة نجيب عزاوي ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ط١، ١٩٩٨ .
- الترجمة والنسق الأدبي تعريب الشاهنامة في الأدب العربي، الدكتور عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٩ .
- تشريح أصول الاستبداد قراءة في نظام الآداب السلطانية، الدكتور كمال عبد اللطيف، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٩ .
- تكوين الخطاب السردي العربي دراسة سوسيولوجية للأدب العربي الحديث ، صبري حافظ، ترجمة أحمد أبو حسن، دار القرويين، الدار البيضاء،٢٠٠٢ .
- تهميش المثقفين ومسالة النخبة القيادية، من كتاب المثقف العربي همومه وعطاؤه، برهان غليون ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ،ط٢،٢٠٠١ .
- جدلية الخفاء والتجلي دراسات بنيوية في الشعر، كمال أبو ديب ، دار العلم للملايين ،بيروت ،ط١،١٩٧٩ .
- جذور المكيافيلية في كليلة ودمنة، مصطفى سبيتي، دار الفارابي،بيروت،ط١،٢٠٠٠ .
- الجماعة والمجتمع والدولة سلطة الإيديولوجيا في المجال السياسي العربي ، رضوان السيد، دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٩٩٧ .
- الحريات العامة في الفكر والنظام السياسي في الإسلام، الدكتور عبد الحكيم حسن العلي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٤ .
- الحكاية و التأويل دراسات في السرد العربي، عبد الفتاح كيليطو، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٨ .
- الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج معاصر، عبد الله الغذامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٤ ، ١٩٩٨، ص٢٦٣ .
- الديمقراطية في أمريكا، ألكسيس دوتوكفيل، ترجمه وقدم له وعلق عليه أمين مرسي قنديل، عالم الكتاب ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩١ .
- رسائل البلغاء، اختيار محمد كرد علي، دار الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩١٣ .
- الرمز والسلطة، بيير بورديو، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي ،دار بوتقال ، الدار البيضاء ،ط١،١٩٨٦ .

- الزعيم السياسي في المخيال الإسلامي بين المقدس والمدنس، محمد الجويلي، المؤسسة الوطنية للبحث العلمي، دار سراس للنشر، تونس، ١٩٩٢.
- السرد العربي مفاهيم وتجليات ، سعيد يقطين، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.
- السرد العربي القديم الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، الدكتورة ضياء الكعبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط١، ٢٠٠٥.
- السرد العربي القديم الأنواع والوظائف والبنيات، إبراهيم صحراوي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط١ ،٢٠٠٨ .
- السلطان آراء جديدة في الفلسفة والاجتماع ، برتراند راسل ، تعريب خيري حماد ، منشورات دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، ط١ ، ١٩٦٢.
- السلطة الثقافية والسلطة السياسية، علي أومليل، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،ط1، 1996 .
- سلطة المثقف بين الاقتراب والاغتراب قراءة في سيرة لسان الدين بن الخطيب وتجربته السياسية، الدكتور محمد فاتح زغل، منشورات وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠٠٦ .
- السلطة والعنف، عز الدين الخطابي، مجلة وليلي دفاتر المدرسة العليا للأساتذة ،مكناس ،ع١٤ ،٢٠٠٩.
- سهل بن هارون وكتاب النمر والثعلب فصول مترجمة ومؤلفة، إبراهيم عوض، المنار للطباعة والكمبيوتر، ٢٠٠٦ .
- سهل بن هارون وكتاب النمر والثعلب فصول مترجمة ومؤلفة، الدكتور إبراهيم عوض، المنار للطباعة والكمبيوتر، ٢٠٠٦ .
- شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، محمد رياض وتار، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، ١٩٩٩.
- صورة المثقف في القصة القصيرة الجزائرية المكتوبة بالعربية _العصامي_ ، مؤلف جماعي، مطبوعات جامعة الجزائر، الجزائر ، للعام الدراسي ٢٠٠٧_٢٠٠٨
- صورة المثقف في القصة القصيرة الجزائرية المكتوبة بالعربية ، مؤلف جماعي، جامعة الجزائر، للعام ٢٠٠٧_٢٠٠٨.
- ضحى الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 10، 1969 .
- الطاغية: دراسة فلسفية لصورة الاستبداد السياسي، إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، الكويت ،١٩٩٤.

- طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبد الرحمن الكواكبي، تقديم ودراسة الدكتور أحمد السحمراني، دار النفائس، بيروت، ط٣، ٢٠٠٦.
- طبائع الاستبداد، الكواكبي، تقديم ودراسة أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت، ط٣، ٢٠٠٦.
- العرب والسياسة يوميات على جسر العبور، عبد السلام المسدي، مؤسسات بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس ، ٢٠٠١.
- العقل الأخلاقي العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية، الدكتور محمد عابد الجابري، دار النشر المغربية، الدار البيضاء،ط١، ٢٠٠١ .
- العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته، الدكتور محمد عابد الجابري، المركز الثقافي العربي، بيروت –الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩١
- العنف الرمزي بحث في أصول علم الاجتماع التربوي، بييربورديو، ترجمة نظير جاهل، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١٩٩٤،١.
- العنف الرمزي بحث في أصول علم الاجتماع التربوي، بييربورديو،ترجمة نظير جاهل ،المركز الثقافي العربي ،بيروت،١٩٩٤ .
- الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام قراءة في نشأة علم الأصول ومقاصد الشريعة، الدكتور عبد المجيد الصغير، دار المنتخب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤.
- في الأدب العباسي الرؤية والفن، عز الدين إسماعيل، دار النهضة العربية ،بيروت ،١٩٧٥.
- في دلالية القصص وشعرية السرد ، سامي سويدان ، دار الآداب، بيروت، ط1، 1991 .
- القرآن والسلطان، فهمي هويدي ، دار الشروق،القاهرة ، ط٤،١٩٩٩.
- القصة في الأدب العربي القديم، الدكتور عبد الملك مرتاض، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط١، ١٩٦٨ .
- القصص والقصاص في الأدب الإسلامي، وديعة طه النجم ، دراسات في التراث العربي ،سلسلة تصدرها وزارة الإعلام ، الكويت ،مطبعة الكويت،د.ت.
- القوة والسلطة، أحمد أوغور، منشورات المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس،ط١،١٩٨٤.
- كاتب السلطان حرفة الفقهاء والمثقفين، خالد زيادة، رياض الريس للكتب والنشر، لندن ، ط١ ، ١٩٩١.
- كاتب السلطان حرفة الفقهاء والمثقفين، خالد زيادة، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ط١، ١٩٩١

- الكاتب والسلطة، عبد الله الشيخ موسى، ترجمة بشير السباعي، دار مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩.
- كتاب النمر والثعلب،سهل بن هارون، حقّقه وقدّم له وترجمه إلى الفرنسية الدكتور عبد القادر المهيري، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٧٣ .
- الكتابة والتجربة، عبد الكبير الخطيبي، ترجمة محمد برادة ،دار العودة ،بيروت،١٩٨٠.
- كليلة ودمنة ومقتل عبد الله بن المقفع ، محمد وريث، ، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع ،ليبيا ، ط1،1987 .
- المثقف العربي همومه وعطاؤه، محمود عبد الفضيل، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،ط٢،٢٠٠١.
- المثقف العربي همومه وعطاؤه،مؤلف جماعي ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٥ .
- المثقفون في الحضارة العربية الإسلامية حفريات استكشافية ،ضمن كتاب المثقف العربي همومه وعطائه ، محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،ط٢،٢٠٠١ .
- مرايا الأمراء في الحكمة السياسية والأخلاق في الفكر الإسلامي الوسيط مع تحقيق كتاب قابوس نامه(النصيحة)، محمد أحمد دمج ، مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع ،دار المنال ،بيروت،ط١ ،١٩٩٤.
- المساحة المختفية قراءات في الحكاية الشعبية، ياسين النصير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء –بيروت ، ط١، ١٩٩٥.
- مسرور السيّاف إخوانه، جمال بدوي، دار الشروق ، القاهرة، ط١، ١٩٩٧.
- مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، الشاهد البوشيخي، دار القلم، الكويت، ط2، 1995
- مضمون الأسطورة في الفكر العربي، الدكتور خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت، ط٣، ١٩٨٦ .
- المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو، جيل دولوز،ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت –الدار البيضاء ،ط١ ،١٩٨٧.
- مفهوم الحرية دراسات في مشكلة المصطلح وأبعاده في التراث العربي الإسلامي ، فرانسو روزنتال، ترجمة وتقديم رضوان السيد ومعن زيادة ، دار المدى الإسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧.
- ملامح النثر العباسي، عمر الدقاق، دار الشرق العربي،بيروت، د.ت.
- من شرفة ابن رشد، عبد الفتاح كيليطو، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي ،دار توبقال ،الدار البيضاء ،ط١،٢٠٠٩.

- منطق السلطة مدخل إلى فلسفة الأمر، ناصيف نصار، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،ط١٩٩٥،١.
- الموقف من القص في تراثنا النقدي، ألفت كمال الروبي، مركز البحوث العربية للدراسات والتوثيق والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩١.
- النص والسلطة والحقيقة إرادة المعرفة وإرادة الحقيقة ، نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ،بيروت – الدار البيضاء ،ط٥ ،٢٠٠٦.
- نظرية التأويل والخطاب وفائض المعنى ، بول ريكور، ترجمة سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء بيروت ،ط٢،٢٠٠٦.
- النمط النبوي _ الخليفي في القيادة السياسية العربية والديمقراطية،الدكتور بشير محمد الخضرا، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٥.
- الوجود الزمان و السرد، بول ريكور، ترجمة وتقديم سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي ، بيروت _ الدار البيضاء ، ١٩٩٩.
- الوحدات السردية في حكايات كليلة ودمنة دراسة بنيوية، إ دريس محمد، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ٢٠١٠.
- وعاظ السلاطين، علي الوردي، دار كوفان، لندن، ط٢، ١٩٩٥.
- الدوريات
- المثقفون والسلطة ، ميشال فوكو، ترجمة سعيد علوش، مجلة الزمان المغربي ،ع٨، ١٩٨١.
- تصور الحكاية الشعبية للملوك ، سامي عبد الوهاب ، مجلة أدب ونقد ، ع١٢٩ ، ١٩٩٧.
- في البدء كانت حيلة، نعيمة بنعبد العالي،مجلة فكر ونقد، السنة الثانية ،ع١١، ١٩٩٨.
- الكاتب في حضرة الخليفة، رفقة رويدة، مجلة الفكر العربي، ع١،١٩٨٠.
- المثقفون والممارسة السياسية جدلية الاستبعاد والاستقطاب، حماد صابر، مجلة المستقبل العربي ،ع٢٥٩، السنة ٢٣،٢٠٠٠.
- صورة العامة في الخطاب السلطوي، محمد حلمي عبد الوهاب، مجلة أدب ونقد، ع ٢٧٤، ٢٠٠٨.
- وظيفة الثقافة في فكر الاستسلام ، فيصل دراج ، مجلة الوحدة ،الرباط ،ع٣٥ -٣٦ ،السنة الثالثة ،أيلول ١٩٨٧.
- في البدء كانت حيلة، نعيمة بنعبد العالي،مجلة فكر ونقد، السنة الثانية ،ع١١، ١٩٩٨
- الاغتراب مصطلحا ومفهوما وواقعا، قيس النوري ، عالم الفكر ، مج١٠ ، ع١،١٩٧٩.

- "المنهج الإنشائي في تحليل القصص تودروف، توفيق بكار، مجلة الحياة الثقافية ، تونس ، ع٤٧ ، ١٩٨٨.
- ابن الخطيب سفيراً ولاجئاً سياسياً، عبد الهادي التازي، مجلة كلية الآداب بتطوان، السنة الثانية، عدد ٢، ١٩٨٧.
- أزمة المثقف العربي المحنة الدائمة دراسة في نشأة المثقف العربي وسوسيولوجيته ، عبد القادر عرابي ، مجلة المستقبل العربي ، ع١٩٥ -١٩٦ ،السنة ١٨، ١٩٩٥.
- الاغتراب النفسي للمثقف العربي، جان الكساب ، مجلة المعرفة ، سوريا،ع ٥١٥ ، ٢٠٠٦.
- الاغتراب بين القيمة المعرفية والقيمة الجمالية ، صبار نور الدين، مجلة الموقف الأدبي ، ع ٣٥٥ ، السنة ٣٠ ، ٢٠٠٠.
- الاغتراب في الإسلام ، فتح الله خليف، عالم الفكر، مج١٠، ع١ ، ١٩٧٩.
- بلاغة المقموعين، جابر عصفور، مجلة ألف، ع12،1992 .
- بيان القراءة عند ابن المقفع، الدكتور سعيد يقطين، مجلة آفاق، ع٦١_٦٢ ، ١٩٩٩.
- حكايات الحيوان في التراث العربي، الدكتور محمد رجب النجار، عالم الفكر، ع ١ -٢ ، مج ٢٤، ١٩٩٥.
- رمز الراعي في بلاد الرافدين ونشوء فكرة السلطة الملكية ، اليزة زابيرت، ترجمة محمد وحيد خياطة ، العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٨.
- السياسية واللاسياسة في الفكر العربي الإسلامي، الدكتور عزيز العظمة، مجلة الفكر العربي، ع ٢٢، ١٩٨١ .
- في البدء كانت حيلة، نعيمة بنعبد العالي، مجلة فكر ونقد،ع١١، السنة الثانية، ١٩٩٨ .
- الكاتب في حضرة الخليفة، رفقة رويدة، مجلة الفكر العربي المعاصر،ع ١، ١٩٨٠.
- المؤرخ والسلطان جانب من علاقة المثقف بالسلطة في التجربة المغربية ، إبراهيم أعراب، العلم الثقافي، السبت ٢١، نونبر، ١٩٩٨.
- المثقف والسلطان والحكاية قراءة في مفاعيل السرد في ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة، جبور الدويهي، مجلة الاجتهاد، ع ٤١ ، ١٩٨٩ .
- مسألة في العمل مع السلطان ،الشريف المرتضى،نشر وتقديم ولفريد مادولونغ ، ترجمة رضوان السيد ،مجلة الفكر العربي، ع٢٣،السنة الثامنة ،١٩٨١،ص٢٠٨ -٢١٤
- وظيفة الثقافة في فكر الاستسلام ، فيصل درّاج ، مجلة الوحدة، الرباط، ع٣٥ -٣٦ ،السنة الثالثة ،أيلول١٩٨٧.

جامعة الناصر

AL-NASSER UNIVERSITY